النورسي ورسائله

رجل وكتاب

في حوار صريح وجاد

عابدين رشيد

٢٠١١م


رجل وكتاب
في حوار صريح وجاد



الإهداء

إلى الذين سمعوا عن "رسائل النور" ولم يقرأوها بعد!

والى الذين قرأوها كلها مرَة واحدة فقط.

والى الذين قرأوها ولا يزالون يقرأونها مرات ومرات!

"إن رسائل النور تَنبَعُ

سلسبيلا من عيون الفطرة ومن

أقداس الروح ومن عبقرية العقل

ومن أصداف الإلهام".

المقدِّمة

كثيرا ما كان يدور في فكري سؤال مثير وهو: هل يمكن أو يعقل لكتاب أو رسائل أن تحدث تغييرا فعالا في المجتمع وتؤثر على سير الأحداث فيه بل وتبدّل نظرة كثيرين جدا من ذلك المجتمع إلى الله والكون والإنسان والحياة وينقلهم من أسوأ حال إلى أحسن حال؟ أو بتعبير آخر: أن تنشئ مجتمعا جديدا فتيا صالحا وبوقت قياسي أمام أهوال التخريبات المضلّلة المذهلة؟!.

ثم أليس ما يشبه المستحيل: أن يتصدى لرسالة البناء ومسؤولية الإصلاح رجل وحيد فريد، عاجز ضعيف، لا يملك قوة من قوّات الدنيا ولا سلطة ذات نفوذ مطاع؟ أجل هل يمكن لمثل هذا الفرد الأعزل أن يتصدى وحده ببطولة خارقة وثبات شامخ - ومن غير أن يكون نبّيا- لتيار جارف هائل من الفساد والإلحاد والاستبداد، يريد أن يكتسح الفضائل من جذور المجتمع كله وتغييره قسرا إلى مجتمع غربي فاسق فاجر وقد وقف وراءه الدول الكبرى المتآمرة الماكرة تسانده وتغذيه بجميع قواها وطاقاتها متداعية عليه وعلى العالم الإسلامي من حوله كما تتداعى الأكلة على قصعتها؟.

هنا تتعطل الحسابات المادية كلها وتبرز حقائق أخرى غير منظورة تتقدم الصفوف كالجندي المغوار كلٌ من الإخلاص الخاص والتجرد المتفرد والشجاعة النادرة والحكمة البصيرة.. تلك المعاني الباسلة التي قلما يتذكرها أو يعطيها وزنها الحقيقي الحق من ينظر مهزوما ترتعد فرائصه وتخور عزائمه، إلى تلاطم التيارات لأول وهلة.

لذا لا يمكن تقدير عمل الأستاذ سعيد النورسي وجهاده المتواصل العنود، ولا عمل تلاميذه الأوفياء من بعده - حق تقديره إلاّ بعد أخذ الظروف في تلك الحالة بالأخص بنظر الاعتبار ثم دراستها دراسة جادة موسعة عندئذٍ فقط يمكن تقدير مدى فاعلية وتأثير الإخلاص التام لله وحده في ذلك العمل الإيجابي البنّاء وما يتركه هذا الإخلاص العظيم من روائع الآثار في عالم الإيمان أولا ثم في عالم الحياة آخراً.

هذا ولأن الأستاذ النورسي قد أتخذ الإخلاص لله والتجرد والوفاء للإسلام شعاره الدائم ودستور حياته حتى اللحظات الأخيرة من عمره المديد الحافل جداً بمواقف إسلامية مدهشة ولأنه حرص على ذلك الإخلاص العجيب أشد الحرص؛ لذا فقد أكرمه الله بالتوفيق السديد وجعله رفيقه المؤيد دائما في كل ميدان في كل معركة؛ فكانت أن نمت - ببركات ذلك الإخلاص الفذ - تلك النواة الصغيرة الطيبة من الغراس الرباني في حديقة "بارلا "من ذوي الفطرة السليمة من طلبته الصادقين من خامات المجتمع التي لم تتلوث بعد بلوثات المدنية

اللادينية والعلمانية الغاشمة الملحدة فأحاطوا بأستاذهم المرشد المحبوب كما تحيط الهالة بالقمر.

وكان أن هيّأ الله سبحانه من يتولى نشر ذلك النور المنبثق الوضّاء إلى كافة أرجاء تركيا الحديثة وإلى كافة أنحاء العالم من بعد؛ حتى أضاء كل قرية وكل مدينة بقناديل رسائله القدسية المشعة من مركز الطاقة النورانية الكبرى للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والحكم الإنسانية والإلهامات الربانية جميعاً.

فيا ترى كيف تمَّ هذا العمل الإيجابي البنّاء الضخم العجيب أمام عوامل ذلك الهدم الشامل الرهيب؟ وما هذا الكتاب الذي استقطب الشباب المتحمس الجسور وأنقذهم من الضلالة والفساد بل وأنعم عليهم السير نحو السمو إلى قمم الإسلام الشامخة حتى أنك ترى النور لينفلق من جهادهم ويتقطر الحماس والهمّة من جباههم وينبجس الشهد من أفواههم فأصبحوا طلائع البعث الإسلامي بأخلاقهم وأعمالهم وفقههم وكفاءاتهم مما ظهرت ريادتهم الفكرية والعلمية بفضل أصالة منهجهم المنطلق من حقائق القرآن الحكيم ومناهج السنة النبوية الشريفة بكمال الفهم الناضج على أفق عالمنا الحاضر.

ولا عجب، أليس "القرآن الكريم" ذاته بسوره القصار وآياته المفصلة قد حوّل مجتمعاً جاهلياً متخلفا بحتاً إلى مجتمع أساتذة الإنسانية وروادها؟

فلِمَ لا يصنع تفسير من تفاسيره الذي يحمل نوراً من أنواره وسراً من أسراره فعل القرآن نفسه في مثل ذلك المجتمع بإذن الله وقد تلطّخ بأوحال الجاهلية الرعناء ومستنقعاته ثانية وثالثة؟؟

نعم.. هذا ما حدث فعلا..

فبالإخلاص الأعظم والتوكل المتجرد على الله وحده؛ الذي كان يملأ صدور تلاميذه هو الذي أعطى قبساً من نور ونبضة من وثبات أجدادهم المسلمين العظماء الذين أناروا الوجود ورسموا الطريق للأجيال القادمة الفتية المؤمنة من كتائب الإيمان على مدار الزمان.

ولّما كنا قد عزمنا على أن نعطي القارئ الكريم فكرة عامة عن تلك الرسائل؛ لذا لا يمكن أن نقوم هنا بهذه العجالة بدراسة مستفيضة فيها فآثرنا بيان غيض من فيض ولمحات خاطفة وكلنا أمل وشوق أن يسعدنا الله بكرمه بفرصة أخرى في الغد القريب إن شاء الله لتبيان حقائق "رسائل النور" وأسرارها أكثر إيضاحاً وأكثر تفصيلاً..

فنقول الآن هنا:

إن رسائل النور المنبثقة من حقائق القرآن الكريم أسرار ربانية عظيمة وبيانات نيّرة بليغة، قد منحها الله عزَّ وجلّ هذا الرجل بذكائه الخارق وإخلاصه النادر وشجاعته الفذة وحكمته الغالبة متجلياً في كتاباته الملهمة لمعات الأسماء الإلهية الحسنى ومستخرجاً جواهر القيم ومستنبطاً يواقيت الموازين ومبيناً لآلئ الأصول في فهم المعاني الحكيمة

والمقاصد المكنونة في كتاب الله وسنة نبيّه محمد ﷺ بأسلوب غير مـألوف وطريقة غير مطروقة وبفنون بلاغية هي في منتهى الطرافة والإبـداع ممـا آتاه الله بعض أوليائه الأصفياء من مفاتيح الحكمة والجمال والقوة كأنهـا تنزيل من التنزيل وقبس من أقبـاس البيـان... فهـي فتوحـات جديـدة كبرى في عالم الحق والـدعوة والإعجـاز المعنـوي في هـذا العـصر وقـد ظهرت هبـة ربانيـة للـدعاة الفقهـاء المجاهـدين في كـل مكـان؛ تلبيـة للحاجة الملحة اليوم للقضية الإسلامية المعـاصرة وحركتهـا لتـؤدي إلى الصحوة الراشدة ومنها لتفضي إلى ظهور جيل الجهاد الأصلح الكاسـح لسلطان الجاهلية الجهلاء الراهنة بلوغاً للنصر الموعود الأكيد بإذن الله.

الفصل الأول

بيانات حول رسائل النور

توطئة لابدَّ منها:

هذا الكتاب هو حصيلة مشاعري ونظراتي وآرائي، اكتسبتها عبر قراءاتي المستديمة لرسائل النور وعبر مشاهداتي الشخصية في أجواء مؤسساتها الحديثة خلال ما يقارب عشرين عاماً [1]، وقد عشت - ولا أزال- كثيراً من أنوارها، وعاشرت كثيرا من حقائقها، ولمست كثيرا من أسرارها بفضل الله ونعمته.

وهو إذن زبدة مطالعاتي الخاصة لها على مدى تلك السنوات ومن ثمَّ فما أسجله هنا ليس أفكاراً عابرة أو خواطر بارقة أو كلمات وليدة خيال لّماح أو مجرد انطباعات سريعة تمرُّ مرَّ الكرام.

(١) قمت بزيارة تركيا أربع مرات في السنوات الثمانينات.

المدخل

(رسائل النور نعمة إلهية كبرى ومعجزة قرآنية لا تنطفئ)

(الشعاعات / ص ٤٤٤)

قال لي صاحبي – وهو يعاتبني بلطف–:

– أين أنت؟ ما الذي جرى لك؟ هل ثمة شيء أجهله عنك هذه الأيام؟ ألا تجيب؟! ألا تقول شيئاً؟

قلت مبتسماً أمام هذا الوابل من الأسئلة المتلاحقة:

– أجل يا صاحبي.. لقد وجدت هذه الأيام شيئاً هو أجمل من الربيع وأطيب من الشهد وأغلى من الروح وأبرد من الثلج وأنور من الصبح. لقد وجدت باختصار "جُنينة الدنيا". لقد وجدت "صورة جديدة" للمعجزة المعنوية من بين آلاف المعجزات للقرآن الكريم في العصر الحاضر.. لقد وجدت رسائل النور!

.. فنظر إليَّ نظرة ذات مغزى فيها مزيج من الاستغراب والاستنكار والاستعلام.

قلت: رويدك.

قال وهو يكظم انفعاله: كما تحب.

قلت برفق: ألا تريد أن تعرف ما هي هذه الرسائل؟ ما حقيقتها؟ ما سرها؟ ما نبأها؟

قال مستطلعاً بفضول: نعم لا شك!

قلت: هيّا إذن وبين يديك فرصة لا تقدر بذهب الدنيا وفضتها.

قال: كيف؟ وهل تراك تمازحني أم تلعب بعقلي؟!

قلت: لا هذا ولا ذاك، بل الأمر جدّ.

قال: سأرى.

قلت: على أن لا تقاطعني حتى أتمَّ كلامي ببيان وإيقان.

قال: سأفعل إن شاء الله.

قلت له: إذن فاسمع.

قال: كلي لك سمع.

قلت مستفتحاً: إذا سألتني ما رسائل النور؟ قلت: إنها دساتير ومعايير، قواعد وشواهد، موازين وقوانين، وإذا قلت: لأي شيء؟ قلت: للحقائق الإيمانية، واليقينيات القرآنية والسنن السنية والمعجزات الأحمدية والأسماء الإلهية والمشاهد الأخروية.. ولذلك

فهي: قبس من أقباس الوحي وتنزيل من تنزيل الكتاب وكرامة من كرامات القرآن ومعجزة من معجزات الفرقان؛ تجلّت بفضل الله سبحانه لفكر بديع الزمان وقلبه وتراتيل ذكر تهدي الناس إلى الله.

وهي التفسير العصري الحقيقي - كما يقول مؤلفه- للقرآن الكريم لهذا الجيل المعاصر ولما بعده.

وهي الترجمة الدقيقة الصادقة لمناهج إتباع الكتاب والسنة تنزيلاً موافقاً لضرورة العصر الراهن وتداولا واقعيا ليوميات المسلم المعاصر وعروجا عبقريا لمراقي الكمالات المقدرة للإنسان على براق النور وهو يطوي وينشر أجنحته المادية والمعنوية في الأنفس والآفاق.. في المشارق والمغارب.

فرسائل النور إذن تعني فيما تعنيه هو الإتباع الأصلح للقرآن والسنة في هذا العصر.

فلم يصبر **فقال:** وماذا تعني رسائل النور، بالحرف الواحد؟

قلت بهدوء عميق:

-إنها القاعدة الإيمانية الصلبة الواعية المهتدية الهادية؛ والتي لا يجوز الجهل بها أو الإعراض عنها. وربّما أمضي فأقول: إنه لا ينبغي أن يسمح بقبول أحد في صفوف الدعوة الإسلامية الحديث جندياً هماماً ما

لم يترب التربية القرآنية المكثفة الكافية المطمئنة في مدرسة النور تماماً كما يتخرج طلبة الجامعات العالمية بعد أن يتموا سنوات الدراسة بمراحلها واختياراتها عن جدارة واستحقاق.

هذا وحسب خبرتي في هذا الطريق بما أنعم الله عليَّ أقول: أنه لا يعقل أن يمارس المسلم المعاصر الناهض، منصبه الإسلامي الخطير كداعية ومرشد ورائد وممثل وهو لا يحمل في سيماه أثر السجود أعني شارة مسؤولية فهم القرآن الكريم وذوقه في كفاءة واقتدار وشهادة.

أجل أخي العزيز!

إن رسائل النور هي كأنها الترجمة العملية الحقيقية الأصلية للدعاء المشتهر على الألسنة :

"اللهم أجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور أبصارنا وشفاء صدورنا وذهاب همومنا وغمومنا وسائقنا وقائدنا إليك وإلى جناتك جنّات النعيم ودارك دار السلام مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين".

قال مبادراً: ولكن قل لي بربك بعد هذا التعريف العام المثير إلى ماذا توصلت إليه من اكتشاف جدير بالذكر في عالم الكتب؟

قلت مبتهجاً وأنا أجمع أطراف أفكاري: إن مما اكتشفته أخيرا يا صاحبي بعد طول صحبتي لها وملاحظاتي فيها؛ أن منهج رسائل النور

هو بحد ذاته شيخ عصري خبير يؤدي دوره خير أداء حيث تأخذ بيد القارئ المريد المحب برفق وصدق ويوصله إلى درجات إيمانية ومقامات سلوكية وأحوال روحانية ومعارج فكرية، صعدا بين الذرى والقمم ممتدة بجسور من نور متجنباً أخطار الطرق الأخرى وضلالاتها. وإذا شئت فسلني وللمرة الألف: ما هي رسائل النور؟ أجبك في كل مرة: إنها خطوات عقل حكيم متزن، وتدفقات قلب شاعر عاشق، ومعارج روح منطلق رائد وأشواق ألطاف تباهي؛ كأنها كلها أسرار وقفات عرفات أو أنوار ليلة القدر أو مهرجانات ربيع المعراج الأعظم..

إنها – بإيجاز فائق– أعراس الإيمان!

قال مستزيداً: ثمَّ؟

قلت: إنها تربطك أكثر فأكثر، وبحبال أقوى وأمتن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين، وبنبينا الأعظم محمد ﷺ على وجه خاص وبالقرآن الكريم بألف ألف مناسبة وبألف طريقة وطريقة. وإنها لتعلمك كيف تفكر وتتأمل وتمنحك مفتاح التذوق في العالم المغمور وهو يضم بين جوانحه بدائع المعجزات الإلهية في أصغر ذرّة وفي اكبر مجرّة في معارض الكون العظيم.

ومن أساليبها أنها لا تثير ضغائن الأعداء ولا تهيج شرور الشياطين الإنسية، فهي إيجابية وديّة مثمرة تخاطب كل الطبقات وكل المذاهب وكل الاتجاهات بطريقة أشبه ما تكون بالنور حقاً.

قال: وماذا تميّزها عن غيرها من الأمور فيما نعرف أو لا نعرف؟

قلت – وأنا أستعرض صفحات رسائل النور كشريط سينمائي سريع كلمحات من بصر-: إنها أيها الصديق العزيز تبدأ بك من البداية الأولى وكأنك لم تسمع ولم تعرف شيئاً عن الحقائق الإيمانية من قبل أو كنت تعرفها ولكنك نسيتها أو ما هو في حكم النسيان فعلاً؛ فهي هنا تعطيك أبجديات الإيمان وبديهياته رويداً رويداً لتكون منها بعد ذلك كلمات اللغة الجديدة لتقرأها على سبورات الوجود ووجوه الخلائق المشهودة بأحرف من نور أو أحرف من حياة، محدثاً في خلايا دماغك بناء جديدا لتبصر وتفقه من نوافذها ومناظرها..آيات الوحي من صفحات القرآن المسطور وآفاق القرآن المصوّر.

وبعبارة أقل: إنها تتخذ من أصغر ما يتوفر عندك ومن أقرب ما يليك ليصنع منها براقاً معنوياً جديداً يجوب بك سماوات الإيمان العلى.

قال بتلهف: ألا تذكر لي خصائص أخرى غير ما ذكرت إلى الآن لعلي ازداد لها فهماً وعلماً فقد أثرت خلجات نفسي من الأعماق.

قلت: حباً وكرامة، سأورد لك سطوراً أشبه ما تكون بمذكرات وتواقيع الملوك دفعاً للضجر أو تخفيفاً للذهن أو توفيراً للوقت أو احتراماً للعقل وإليك نتفاً منها وأحيلك بعد ذلك إلى كلياتها لتطلع عليها بنفسك وتتوصل إلى عجائبها وغرائبها في عالم الفكر والعقيدة والشعور:

* مزجها العجيب بين مجموعة ضخمة من زبدة العلوم الإسلامية في تعبيرها بشكل سهل مبسط، عذب مؤثر، كأرقى أنواع أدب السهل الممتنع.

* تركيزها بالدرجة الأولى على التربية الذاتية العميقة باهتمامها الشديد المكثف لتصنيع الشخصية المسلمة بل تخريج الرجل القرآني قبل اهتمامها بأمور الدعوة وشؤون الخدمة وهموم العمل الإسلامي العام.

* إفشاء نظرة الرحمة والشفقة على الناس وعلى كل شيء.

* اتباع طريقة التدرج وخطوات الفطرة للنمو والارتقاء والتقدم والاتساع بالتزام شديد وثابت.

* تخاطب أوسع العقول وأعرض القطاعات العامة ثقافةً وفهماً وذوقاً.

* كتابتها بلغة الثقة والقوة والحرارة في تبيان حقائقها واستعراض دلائلها من علم وثيق وعرفان راسخ.

* تجمع بين عمق روح التصوف المتزن وبلاغة الأدب وصفاء الفقه وحكمة الدعوة وصلابة التربية ورصانة العلم، فهي تخاطب كينونة الإنسان كل الإنسان بنظام تكاملي ملموس.

* لها اهتمام جاد وطيد وشرح شاهق مكثف بأسرار الأسماء الإلهية الحسنى بأسلوب نادر إن لم أقل غير مسبوق.

* الطريقة الإيجابية قاعدة أصلية ثابتة في دعوتها ومعاملاتها وأحكامها ومواقفها فهي بحق كأشعة النور.

* فيها آراء صائبة سبّاقة منصفة بعيدة النظر وتظهر ذلك بوضوح حول قضايا القومية والعلمانية والثورة والوطنية والفرق الإسلامية والتاريخ الإسلامي وأحداثه والحضارة الغربية والمسيحية والسياسة والتصوف والأدب والحياة والموت والمرأة والحرية وأمور أخرى كثيرة.

* أفكارها وطروحاتها قريبة من حياة الإنسان اليومية وكأنها مذكرات هموم المسلم المعاصر في هذه الأيام.

* تعطيك مفاتيح التأملات الإيمانية الجميلة العميقة الواسعة في الله والكون والإنسان والحياة.

* تتضمن في طوايا سطورها باقات عبقة من القواعد والموازين والمقاييس والكليات والحقائق والبصائر والبشائر.

* تجعلك تعيش وتتملّى دائماً في روائع الطبيعة وجمالها وحكمتها وحلاوتها وإشارتها.

* إنها تعتبر من نوادر الأسفار العظيمة في تاريخ الكتابة الإسلامية التي بلغت شأواً بعيدا وافقا سامقاً هيّأها أن تكون: الكتاب الشيخ، الكتاب المربي فهي تخرّج تحت ظلال أروقتها الربانية أفواجاً أفواجاً من

الطلبة الأولياء الفقهاء الدعاة المجاهدين. وهم اليوم يـذكرون النـاس بجيل الرعيل الأول لهذه الأمة القرآنية الخالدة.

قال: جزاك الله خيراً لقد علمت ما كنت أجهلـه عنهـا والآن آن أن تبـين لي بعـضا مـن عجائبهـا وغرائبهـا عـلى طريقتـك وأسـلوبك أو بالأحرى على استنتاجك وقناعتك؟ فلطالما سـمعت منـك تكـرر هـذه العبارة أثناء حوارنا.

قلت: لقد سألتني عن شيء مثير ومع ذلك فلا أقول غير الحق: نعم إن الرسائل النورية ليست مجرد كتب وكتيبات فحسب بل هي مدرسـة وتكية وكُتّاب ومعهد تربوي وبستان عقيدة ومكتبة ثقافية ومختبر علمي ومنتدى أدبي ومجلـس علـماء ومعـرض كـوني وروضـة حـب ومعجـم معارف ومنبر وعظ وإرشاد وحلبة جهاد ومعسكر دعوة، وبـراق روح وصالة فن ومسرح موسـيقى وكليّـة سياسـة ومحـضن بطولـة وعبقريـة ومهد إبداع وتجديد ومنطلق حضارة أخيراً.

نعم إنك تجد فيها كل ما أهمله المسلمون اليـوم عامـة مـن الأفكـار والمعاني والرموز والشعارات ومعالم الدين الحق أو هجروه هجـراً غـير جميل أو نسوه أو فقدوه.. فتراه تعرضه عليهم بنهج غريب بديع معجب يفرض إعجابه ووقعه على قلب كـل غافـل منـصف أو واعٍ مرتقـب في عـالم الفكـر والـذكر والـشكر، بـشروحات معانيـه وتفاصـيل حكمـه

وبيانـات أسراره كأمثـال: "بـسم الله" و"لا الـه إلا الله" و"الحمـد لله" و"سـبحان الله" و"الله الكـبر" و"لا شريـك لـه" و"حـسبنا الله" و"لا حول ولا قوة إلا بالله".. وغيرها مـن أمهـات عقائـدنا وكليـات ديننـا ومعـالم يقينياتنـا المبثوثـة والمنـشورة في أقـداس مجتمعاتنـا كالـشعارات البارزة واللافتات المعلقة.

ولذلك أراني اجترأ فأقول: أنه لا دواء للأمراض المعنويـة الحـاضرة للناس في هذا الزمان أقوى ولا أشفى بإذن الله من رسائل النور: واحدة من أعجب وأبدع صيدلية من صيدليات القرآن الكـريم التـي ظهـرت بمحض فضل الله وحده على وجه الأرض في عصرنا نحن وربما لما بعـد عصرنا هذا كذلك؛ مفتوحة على مصراعيها لكل إنسان بغض النظر عن لونه وجنسه ودينه وجغرافيته وتاريخه ولغته.

ومن العجب أنك إذا قرأتها أول وهلة وبـسرعة ظننـت أنـك تقـرأ مقالات اعتيادية روتينية كما تقـرأ أي جريـدة يوميـة، حتـى إذا طرقـت عشرة كتب في باب رسالة من رسائلها أدركت عن علم راسخ أنك حقاً أمام رسالة أطروحة ذات صبغة متميّزة متفوقة وفريدة جديدة مفيـدة في عالم الكتب .

هذا ولرسائل النور أيضا صفتان عجيبتان - ولعلهـما مختـصتان بهـا وجدها- وهما:

أنها تكاد تغنيك عن كـل كتـاب في مواضـعها لأقـصى فـترة، وأنهـا تعلّمك كيف تقرأ وتستفيد من الكتب الأخرى غيرها.

قال: سبحان الله! هكذا؟.

قلت: وإذا شئت أسمعتك المزيد؟!

قال: هاتها.

قلت: ومن غرائب رسائل النور ومن مميزاتها الخاصة بها كـذلك في هذا المقام؛ أن الآيات القرآنية ومعانيها العظيمة بدأت تتحـرك في حيـاة الإنسان – إنسان ما بعد سقوط الخلافة الإسـلامية الممثلـة في وقتهـا في الدولة العثمانية– وأخـذت كـذلك بـدورها تحركـه في الوقـت نفـسه في اتجاهات ربانية فكأنها فعلاً ن-زلت لهذه الجماعة الفتية من الفتية المؤمنـة لهذا الجيل.. هذا الجيل المنكوب الذي قدّر الله له أن يشهد ويعيش مآسي الآلام والأحزان التـي تركهـا انهيـار المجتمـع الإسـلامي مـن قواعـده وأركانه، أو هـي – أي رسـائل النـور– كرائـد بحّـار عـالم، استكـشف خرائط السير الصحيح المناسبة وسط تلك الأنواء الرهيبـة ومـضى عـلى هداها لا يلوى على شيء ولا يلتفت إلى شيء يمخر عباب البحار بسفينة لها صلة وثيقة قوية بنسب سفينة نوح ﷺ! أول بحّار باسل مجاهد يبحر بفئته القليلة الصالحة بسلام وبركات فوق أمواج هائجة تموج كالجبـال، على صراط الدعوة الإسلامية بإذن الله ورعايته، قدماً نحو البرِّ الأمـين:

حلبة الجهاد البنّاء الأفضل للعيش في ظلال الإيمان والأخوة والسعادة الفردوسية ولو في عمر الربيع أو حتى عمر الزهور!

وهي تسلك بقارئها المتشوق المغرم أقصر الطرق لقطع مسافات العلم الطويلة؛ فهي كفيلة بأن تقدّم له في صفحة واحدة كتاباً كاملاً، وفي رسالة واحدة ملخص مكتبة صغيرة، وتقطع به سنة في سبيل العلم أسبوعاً واحداً طيّاً، وبذلك تكون رسائل النور قد أتتت بكرامة جديدة في عالم الكرامات وهي طيّ العلم من بعد طيِّ الزمان والمكان فأضافت بُعداً عصرياً لتقدم المؤمن المتخلف فيه أشواطاً بعيدة عن ركب الحضارة المادية وعبقرياتها لحاقاً بالزمان واعتلاءً على مكانه اللائق به اليوم كعبد لله وتلميذٍ للقرآن الكريم وجندي للرسول القائد العظيم ﷺ.

هذا وإنها تبنيك من الداخل طابوقاً طابوقاً كما أنها تهدم ما يستحق الهدم طابوقاً طابوقاً وقد تهدم حائطاً حائطاً. فهي كتاب بناء قبل الهدم ومن اجل ذلك فهي لا تتناول موضوعاً هامشياً أو قشورياً أو جانباً غير ذي قيمة وأهمية أو ما ليس فيه خير كثير وفير، ومن دلائل كراماتها وربانيتها أنها إنما كتبت حسب الحاجات وحسب المواسم وحسب الطلبات وكأن القارئ المثابر يقول بفرح غامر وهو كلما يتأمل في عباراتها: حقاً هذا ما كنت أريده أنا. بل هذا شيء يخصني أنا بالذات ويجيب على أسئلتي وها قد نزل على قلبي الآن برداً وسلاماً فالحمد لله.

قال متنهداً مذهولاً: زدني بربك.

قلت: ومن المعروف المتواتر لدى طلبتها أن المؤلف الأستاذ يـوصي القارئ مراراً بالصبر وعدم الانقطاع عن مطالعاته لها لنه قد يلاقي فيهـا عبارات صعبة أو فقرات معقدة فوق مستواه بكثـير ولكـن عليـه أن لا يبـالي ولا ييـأس فالـدرب طويـل والفـرض سـوانح قـد تواتيـه يومـاً فيستوعب ويدرك ويفهم ويتذوق، مثله كمثل من يدخل في بـستان ذي أشجار مثمرة يانعة، فيجتني منها بقدر ما تبلغه يداه أو تتناوله كفّاه عـلى طول قدّه. فالمعارف فيها درجات وطبقات وهي مع ذلك تفيـد العامـة والخاصة وهي تشبع الخواص ولا تحرم العـوام.. وهـذه صـبغة قرآنيـة بحتة!

قال وهو شبه نشوان: وبعد وبعد؟

قلت وأنا أحسد ظمأه: وأعلم كذلك إنها تعطيك عينين جديدتين: عين من القرآن الكريم، وعين من السنة النبوية، لتطل بهما ومن خلالهـما إلى كل شيء في الوجود. فتارة ترى بهما أكـبر الأشـياء كأصـغرها وتـارة ترى أصغر الأشياء كأكبرها..فهي لهـا خاصـية التلـسكوب حينـاً ولهـا خاصية الميكروسكوب أحياناً أخرى، فتتملّى من ورائهما الروح بمشاهد الأسماء الإلهية في السماوات والأرض وما بينهما مـن عجائـب خلـق الله سبحانه ونواميسه وقواميسه في وجهي الكون معاً: عالم الـشهادة وعـالم الغيب.

وإنها تقدم لك الغذاء الفكري والروحي بالطريقة الملوكية أي أنها تخلصك من تفاصيل العلوم وجزئيات المعارف وتمنحك زبدتها وخلاصتها بما فيها الغناء والكفاية لرحلة الإنسان العصري نحو عالمه الكبير دون أن تلهيه ترهات كل شيء وأوجاع الدماغ من فضول الكلام وثرثرات المطبوعات وأخاليط المنابر.

ومن أعجب عجائبها إنها تشعر القارئ المخلص المداوم بالشعور الوثيق الحميم بالقُربية من الله ذي الجلال والإكرام وما تورثه هذه القُربية - من ثم- من شعور غامر مشاع ملموس من الأمان والاطمئنان في أجواء يوميات حياة المسلم الصادق العامل، مهما تلبدت سماؤه بأنوار تنذر بالعواصف والزعازع وتهدر بالمخاوف والمكاره.

قال - وكأنه يستدرك سؤالاً كاد أن ينساه آنفاً -: وما معنى قولك أن لرسائل النور لغة مبتكرة كما أكدّتها مراراً؟!

قلت: نعم لقد كتبت رسائل النور بلغة موفقة واضحة كل الوضوح، مشرقة كل الإشراق بحيث يفهمها الجميع مهما اختلفت درجات ذكائهم أي أنها تتميز بسمة الكتابة الجماهيرية -إذا صحَّ التعبير- من غير أن يسف أو يهبط من روعة بلاغتها وسمو فصاحتها في الوقت نفسه فهي تخاطب الطفل والشاب والشيخ والرجل والمرأة والطليق والسجين والمثقف والأمي والعالم والمتخصص والمتصوف

والأديب والسياسي ورجل الشارع والفقيه والداعية والبدوي والحضري والموظف والكاسب.

وهذا هو سر من أسرار معجزة البيان التبليغي لدعوة القرآن الكريم الذي جاء بها يوسم به في هذه الخصوصية الأبدية له وهو القاسم المشترك الأعظم لأقدار العقول البشرية ومداركها مهما دارت الأزمان وترقت الأحوال إلى يوم القيامة. يوم الملك الديّان.

وبتعبير موجز دقيق:

لقد أوتي بديع الزمان الداعية مفتاحاً ملهماً من مفاتيح البلاغة القرآنية.

ولعل هذه الحقيقة لا تتجلى لنا كما تتجلى بأوضح دليل وأبهر برهان إلاّ عندما نقارن بين ما كتبه في "المثنوي العربي النوري" و"إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" وغيرهما في ما يسميه بعهد سعيد القديم؛ وما كتبه بعد ذلك رسائله الجديدة بمجلداتها باللغة التركية العثمانية في عهد سعيد الجديد.

وتذليلاً لهذه الملاحظة أقول: ولعل من ابرز ما انفردت به هذه الرسائل العجيبة في عالم الكتابة أنها تأخذ بيد مسلمي هذا العصر المخلصين قلبا وروحاً وسلوكاً وعمىً ونسكاً فترقيهم بطريقة جماهيرية لا فردية فقط إلى درجة الأولياء العصريين الصالحين بأقصر وقت وأسلم طريق وأدوم شوق وأبهج نهج وأثبت حالة، وأقل مجاهدة.

قال مندهشاً: يا للروعة هذه الرسالة المجهولة عندنا وعند كثير من الناس في عصرنا! فقل لي بربك ماذا تخفي عنا بعد مما تعرفه عن هذه الرسائل إلى مسلمي هذا الزمان من عجائب الأسرار وغرائب الأنوار.

قلت: لا يزال في جعبتي الشيء الكثير وإذا شئت فهاك سراً آخر.

قال بخفة ظل مرح: ها أنذا لك أذن صاغية.

قلت: إن مما يلفت نظري ونظر الباحث الدقيق بالتأكيد في رسائل النور وأسرارها المكنونة: أنها حوّلت الأنظار والأفكار إلى شخصية معنوية عجيبة نادرة قلما نجدها في تاريخنا إن لم نقل لا نجدها..شخصية متقمصة في ثياب مؤلفات باسم "رسائل النور"؛ فلها شخصية ذاتية متميزة مستقلة ذات أبعاد معروفة مألوفة كأنها كائن حيّ يتعامل مع من حواليه كالكائنات الإلهية الأخرى في عالم الإنسان وهذا ما يلمسه طلابها وعشاقها بوضوح رائق كوضوح الشمس في منتصف النهار.

وبذلك – وهذا في حد ذاته ذكاء خارق– فوتت الفرصة الذهبية للضربة القاضية الماحقة الساحقة لمن يريد من الأعداء الأقوياء الماكرين، ونزع أخطر سلاح ملعون من أيديهم وهو الهجوم الظالم الغادر الغاشم على أشخاصها وهيئاتها وقياداتها، لأنها -أي الرسائل هذه- ربطت قلوب الأنصار والمصدقين بها والعاملين في دربها وحقولها..إلى حبال من النور التي لا يمكن أن تنقطع وهي الموصولة مباشرة بقواعد عرش

الله سبحانه؛ فكانت ظاهرة جديدة حقاً في تاريخ الدعوة الإسلامية وتجديدها بعد نزول القرآن الكريم الكامل المكمل بل وعودة أصلية جليلة إلى سنة الله في هداية الخلق.

إذ إن ربط دعوة الإسلام بأجنحتها: الإيمانية والعلمية والتربوية والاجتماعية والسياسية والجهادية والاقتصادية في نسيج واحد كطيف الشمس؛ لهو إنجاز ضخم عملاق ومشروع فخم لا سبيل إلى القضاء عليها أو اغتيالها بذات السهولة التي تحصل للأشخاص كأفراد ووحدان.

وهذا – والحق يقال– ابتكار عصري جديد مفيد في عالم الدعوات الإسلامية المتفجرة المعاصرة ضد مخططات الأعداء المتآمرين الحاقدين المهيمنين على قارة الشعوب الإسلامية.

وهنا **قال** صاحبي وقد وعى ما سبق – مضيفاً–:

– أي لكأنّ الله جلّت قدرته قد أعطى لحملة رسائل النور سرّ المخطط العبقري المتفوق لإفشال أو إضعاف مخططات خصوم هذا الدين الحق الألداء الوضعاء بأمثل طريقة وأوعى بصيرة وبأقل خسارة.. إتباعاً سليماً سديداً لسياسات النبوة الأحمدية في فن الحرب: حرب الجهاد لا الحرب للحرب، مع الأعداء في كل عصر إعداداً ذكياً

وتمهيداً عزيزاً لانتصار أجيال الإيمان والقـرآن والبرهـان والـسلطان في معارك الشرك والكفر والفسق والنفاق والطغيان.

قلت: هو بأضبط كما ذكرت ووعيت.

نظرات عبر مشاهدات

من غرائب ما يجد المرء القارئ في رسائل النور أنها تستعرض على طول مواضعها ظاهرتي: سعيد القديم وسعيد الجديد مما لا مثيل لها في الكتابات الإسلامية الأم بهذا العمق وهذا الأفق وذاك الوضوح وتلك الشروح على مدى تاريخ طويل.

وكأن هذه الظاهرة - بهذا الحسم والحزم- تجربة رائدة للخطأ والصواب والعوج والاستقامة أو الجرح والتعديل في فن النقد الذاتي الصارم.

فصاحب الرسائل يحلل نفسيته ذاته بعمق كخبير شهير من خبراء علم النفس ويبين شارحاً لوحتي الشخصية التي عاصرت القديم والحديث في تاريخ واحد مما يعد أن لوحة شخصية العالم الإسلامي - المتمثل كنموذج فذ واضح في شخصية سعيد- ذات شقين كذلك؛ فهي حقيقة أزمتها وسرّ بلاياها ونقاط حروف تخلفها وواقعها الأليم.. فكأن سعيد القديم هو الجانب الذي انطوى عهده وولى ولم يعد يفيد اليوم في

الأقل، من ملامح شخصية العالم الإسلامي لخريطة الأمة الإسلامية المعاصرة. وأن سعيداً الجديد سيكون الخارطة الصحيحة الناضجة للجانب المستقيم من ملامح شخصية أمتنا الإسلامية لخارطة عالمنا: قارة المسلمين الأوسط!!

فهي تمثل بوضوح وتهتف بصراخ: الداء والدواء، المشكلة والعلاج، الأزمة والحل، الباب والمفتاح.

وبعد هنيهة عاد صاحبي يسألني بلهجة تنم على شيء من الحيرة: ولماذا كان دائم النظر والتصحيح في رسائله حينما كانت تستنسخ بالمئات والآلاف من قبل أقلام عشاقها المتيّمين شيباً وشباناً.

قلت: حقاً إنك لتسأل فتجيد السؤال. نعم إن ظاهرة تصحيحات كتابة ما، ترمز في الواقع إلى حقيقة مهمة جداً لتصويبات الإنسان اللامعصوم لما يكتبه وقد جعل الزمان مختبر لما يقول ويسجل حتى إذا صدّقته الأحداث وصوبته الأيام.. خرج من الاختبار ناجحاً ورصيناً يصون أصحابها من كثير من الشطط والزلل.

فكم كانت من حكمة ربانية تضمنتها نعمة حقيقية تلك التصحيحات والتصويبات لآثار بديع الزمان وهو حيّ يرزق، بيديه وبين يديه.

ولقد كان حظ رسائل النور من هذه النعمة النصيب الأوفر ولذلك جاءت أشبه ما تكون بالعصمة، وتكاد تخلو من أيّما خطأ يوسم بالخطورة، على كثرة كتاباتها وعلى عظم سعتها وعلى الرغم من تطرقها في كل شيء، حتى لخيل إليك أنها لم تترك شيئاً لم تتناوله بقلمه الماسي في حياة المسلم المعاصر الأساسية ولا يعني هذا أننا ندعي لها العصمة حاشا ثم حاشا، فالعصمة لغير أهلها وهم الأنبياء فحسب.. لم ترد ولكنها الحقيقة نقولها.

هكذا لقد كانت إذن فرصة تاريخية مشكورة لكاتب الرسائل أن تمنح بفضل الله وحده حتى يراجع في كل ما كتب ويطمئن لثمرات أفكاره وسنابل جهاده قبل أن يودّع الدنيا فينام في قبره المجهول مرتاحاً قرير العين، لا يحزنه شيء ولا يندم على ما كتب بل يشكر الله على هذا التوفيق العظيم.

فقال - بعدما بدت علامات الإقناع تلوح على أسارير وجهه: حسناً لقد ألممنا إلى الآن بشيء غير قليل مما خفي علينا ولكن ماذا تقول لهذه الظاهرة حيال رسائل النور؟

قلت مستفسراً: وأي ظاهرة تقصد؟

قال بشيء من التردد والاستحياء: ظاهرة بعض القراء للرسائل النورية هذه، إنهم ما أن يأخذوها بين أيديهم ليقرأوا منها سطورا أو

فقرات قليلة حتى يضعوها جانباً بملل واضح وضيق معلن وكأن لسان حالهم يقول: شيء لا يستحق ضياع الوقت أو إشغال الوقت.

قلت: بارك الله فيك، لقد نّبهتني إلى أمر مثير ومحيّر معاً كدت أن أنساه فقد كنت ألاحظ هذه الظاهرة ورحت أفكر فيه وأبحث عن أسبابه حتى توصلت أخيرا إلى هذا الرأي - وأرجو أن أكون مخطئاً- وهو أن الذي يقرأ رسائل النور ولا يفهمها أو بالأحرى لا يتذوقها ولا يجد فيها شيئا ذا بال أو خطورة إنما يرجع سببه - والله أعلم- إلى حالة مرضية في انحراف مزاجه واختلال قلبه أي أنه ضحية من ضحايا أمراض القلب الشائعة جداً في أيام زماننا. أقول هذا من غير أن أتهمه أو أُغير عليه والله يشهد بل هو من قبيل بيان حقيقة وتشخيص داء كالأطباء في معرفة أسرار العلل عند المرضى.

ولذلك ترى المريض المسكين يجد للماء الزلال في فمه طعماً مراً لا يستسيغه ولكنه كلما تماثل للشفاء رويداً رويداً وجد له ذوقاً وراحة بل حياة تماماً كما يتذوق ذو الجسم السليم نعمة الطعام الشهي دائماً.

قال من غير أن يتوقع هذا الجواب وهو يرسم على لوحة وجهه علامة تعجب كبير: أحقاً ما تقول؟!

قلت: هذا هو رأيي.

قال: وأحسب أنه رأي وجيه.

ثم قلت وأنا أستشيره: وماذا سمعت عن الرسائل البديعية بعد؟

قال: ماذا تعني؟

قلت: سل ما شئت.

قال – وهو يعتصر فكره بضع ثواني-: نعم لقد تذكرت، ترى أين موقع رسائل النور في عالم التفسير وبعبارة أدق: أين يمكن أن نضع هذا اللون من التفسير بين التفاسير عبر العصور؟

قلت بثقة تامة: إنني بعد استقصاء كثير من التفاسير وإجراء جولة عامة في عوالمها تبّين لي يا أخي الكريم أن تفسير رسائل النور يشمل كل أنواع التفاسير السابقة مضافاً إليها هذا التفسير الجديد الذي يمكننا أن نطلق عليه بـ"التفسير الشهودي" والذي امتازت به رسائل النور من بينها جميعاً ويعتبر روحاً إبداعياً جديداً غير مسبوق يسري في أرواح المؤمنين جيلاً بعد جيل إلى ما شاء الله.

وهذا ما جعله – في نظري- يرتفع حتى يسمو على قمم التفاسير القرآنية العظيمة ليكون علماً خالداً من أعلام الحركة التجديدية لروح الأمة الإسلامية بمعجزات القرآن المعنوية نفسها موقظاً وموجهاً وداعياً إلى الله في أقرب قربات وأعذب عذوبات.

ففيها – أعني رسائل النور- لمحات بل ومذاقات من التفسير اللغوي والبياني والفقهي والمذهبي والحديثي والصوفي والفلسفي

والعلمي والاجتماعي والدعوي والكلامي وغيره؛ كلٌّ بقدره وبحسب الحاجة والضرورة المعاصرة ليوميات حياة المسلم الواعي المتفتح المتحدي مشكلات عصره وأباطيل خصومه.

قال: هذا شيء أعجب!

قلت: ولك أن تتأكد بنفسك في مجلداتها المترجمة.

ثم بادرت قائلاً: ولكن ألا تسألني ما سرُّ اعتصام طلبة النور برسائل النور كالذي حدثتك عنه في مشاهداتي الميدانية ومعايشتي معهم بما فلّ نظيره في هذه الأيام وأخشى أن أقول ولا نظير له فلا تصدقني. وهم يلازمونها ليلا ونهارا بل ويتناولون قراءتها كوجبات الطعام اليومية.

قال: قد سبقتني في السؤال عنه ولطالما سألت فلم أقتنع بجواب كاف ومرضٍ فما هو السر يا ترى؟

قلت – وأنا أحاول أن أصيغ السؤال بعبارة أفضل –: بل قل ما سرُّ شمولية التحدث بأفكار رسائل النور وآفاقها في ساعات يومه في الليل والنهار والإقامة والسفر وفي الصحة والمرض والفراغ والعمل والخلوة والجلوة وفي كل الأحوال؟

الجواب كما أرى أنا:

- أولاً: لأنها شديدة الخبرة والإطلاع بمشكلات عصرها.

- ثانياً: لأنها شديدة الصلة بجمال الكون وجلاله.. فهو إذن قصة الخبرة والعشق؛ فصاحب الرسائل هذه يتكلم عن خبرة دقيقة عميقة عن أفق واسع شاسع بألف لسان ولسان ويشهد روائع الكون وبدائع الخلق بألف عين وعين.

ولذلك فالذي يعيش هذه الرسائل العبقرية في أجوائها تورث عنده هاتان الفضيلتان: فضيلة العلم وفضيلة العشق وهما أقوى وأسلم وأسعد وأصلح جناحي شخصية المؤمن المعاصر في دروب الجهاد.

قال بسرور: وقاك الله من كل شر؛ فقد زدتني علماً!

ثم أردف قائلاً: وهل ثمة سر آخر بقي غير ما ذكرته مما تتميز بها هذه الرسائل الفريدة من نوعها في ظهورها وحيويتها وجمالها وبقائها، فإنني مشتاق للسماع إليه.

قلت: نعم ثمة حقيقة جديرة عندي بالتسجيل والبيان وهي: أنه لمّا جعل أعداء الإسلام الألداء العتاة الفجرة، دنيا الأستاذ سعيد النورسي وطلابه جحيماً لا يكاد يطاق، فقد تجلّى الله فيه برحمة خاصة فألهمه علماً من لدنه بجانب عبقريته النادرة وأخذ يصنع من صفحات رسائل النور رياضاً من نعيم للقلوب والعقول.

وهكذا يمكرون ويمكر الله فيزهق باطل الأشرار ويبطل سحرهم ودجلهم، وهكذا كذلك ينبغي أن يكون دعاة الإسلام الحق في كل مكان وفي كل زمان أبطالا يتحدون طوفان الكفر والطغيان حتى يأذن الله لهم بالنصر والتمكين. ومن يقرأ رسائل النور قراءة من غير حاجز عازل؛ يجد فيها نفحات تلك الرياض المونقة في عالم قلبه وفكره وروحه بل وفي كل ذرة من ذرات كيانه كله وكأنه يتجول في رحاب جنة من جنات عدن.

قال موقناً: وتلك نعمة ربانية سابغة لا يسديها الله تعالى إلا لعباده المختصين، المتقين، الصابرين.

قلت مؤكدا ومؤيدا: هذا ما لا شك لي فيه ولو مثقال ذرّة!

فقال معقباً وهو يتطلع: ولكن ألا تخبرني لماذا يركز العلاّمة المجاهد سعيد النورسي في رسائله كثيرا بل وكثيفاً على الركن الإيماني في دعوة الإسلام بشتّى فنون العرض ومختلف ألوان التبليغ؟!

قلت: صدقت. هذا ما يدور في خواطر كثير من القراء ولربما لم يتوصلوا إلى تلك القناعة التي يطمئنون بها في ثقة ورضى تاميّن.

قال: وكأني بك تريد أن تقول: عندي كالجهينة الخبر اليقين!

قلت: ذلك ما اعتقده ولله المنة وحده.

فقال: هاتها إذن.

قلت: وأقول وبه أستعين:

- اعلم أيها الأخ العزيز!

إن رسائل النور بدأت أول ما بدأت بحقائق الإيمان وأنوار أركانه المنسية المعطلة المشوهة بل الفاقدة فاعليتها وسحرها وأثرها المفروض في قلب كل مؤمن يقظان بعدما طال الأمد وقست القلوب.

أمّا غيرها من المؤلفات ولعل أكثرها كما نعلم يبدأ من حيث كأن الإيمان قضية مفروغ منها ومنْتهٍ أمرها ومن ثم بل ومن أجل ذلك فلا حاجة - في ظنهم أو بالأحرى في اجتهادهم- إلى تفصيل فيه أو بيان أسراره وأفاعيله وضرورياته، فيمضي مسرعا ليصب كل همومه وطاقاته في الجزئيات والفرعيات وفي المظاهر والقشور والنقوش والأصباغ إلاّ أنه ما أن يقطع مسافة في رحلة الحياة والدعوة والجهاد عبر أرض الواقع الصلد الحارق؛ حتى ينكشف ضعف البناء ورخاوة الأساس وهشاشة القاعدة.

ولذا فقد أعلنت الرسائل وقررت منذ الخطوة الأولى لمسيرة النهضة الإسلامية المباركة: أنه لا عودة إلى القوة والمجد والصلابة والثبات إلا من البداية وأنه لا صلاح لها إلا بما صلح به أولها. وتلك سنة الفطرة التي فطر الله الكون ولا تبديل لسنته أبداً إلاّ أن يشاء الله، فالدار هنا دار

الحكمة وهي المزيج الطيّب المتناسق بين قوى العقل والقلب والإرادة والتجربة: ناموس نواميس الحق لهذا الوجود من الأزل، فلم يغيّره لأحد ولن يغيّره لأحد.

وهكذا فقد بدأت بدايات هذا الدين القيّم بالإيمان أولاً، ولمدة أطول من المرحلة الثانية.. مرحلة الحياة والشريعة كما تشهده السيرة النبوية الخالدة بدليل أسطع وأظهر من الشمس!

وما المعجزات والخوارق والكرامات إلاّ ومضات تذكير وإلاّ دلائل إشارة للتأييدات الربانية للحيّ القدير القيوم ليطمئن من كان له سمع حديد وقلب شهيد.

نعم أيها الأخ العزيز لقد استقصى النورسي الحقائق بثاقب بصره وبصيرته أن الزمان قد تبدل وأنه سيتبدل اكثر بما قد لا يتصوره كثير من أهل العلم والعقل وما قد لا يكاد يستطيع أن يتخيل مداه وأبعاده نحو أفول معالم الإسلام خاصة ولو إلى حين!

فلقد رأى رأي اليقين أنه قد أنهد السد العملاق: سدُّ الإسلام العظيم وبدأ يخرج في الساحة نوع من نسل يأجوج ومأجوج من مخابئ القدر وأوكار الدهر وسيكتسحون بزحوفهم الشريرة المدمّرة وأقدامهم الملوثة بأقذار الكفر والضّلال في حمأ الغرب المتوحش المسنون هذه المرّة، وسيجتاحون العالم الإسلامي كله من أقصاه إلى أقصاه من مغرب الشمس: كهف الظلمات والأوهام والأشباح والخفافيش البشرية!

أجل هكذا تلقّى رادار قلبه العبقري الحساس فعزم على استدراك الأمر ولو بجهد قليل بسيط متواضع، متوكلاً على الله وحده الذي لا تأخذه سنة من نوم، ومعتمدا على خلوص ثقته به سبحانه واطمئنانه إليه مهما ساءت الأحوال وتعقدت الأمور، وطغت النفوس؛ لان المؤمن المجاهد الحق لا ينبغي له أن يعجز أو يكل بل ويجب أن يبذل كل ما في وسعه ويقدّم كل ما في استطاعته. والباقي على الله!

لذلك نراه قد أتجه صوب إنشاء جامعة إسلامية جديدة تجمع علوم الدنيا والآخرة تحت أروقتها لأول مرّة في تاريخ الجامعات الإسلامية في الشرق منذ قرون متطاولة.ولكنه لم يفلح ولم تواته الظروف الملائمة المتاحة على أن يكتحل عينيه بشموخ هذه الفكرة الوليدة المجسدة من حجارة وطين على ضفاف بحيرة"وان"كما خططها هو ووضع حجر أساسها على أمل بالإنجاز.

ولّما عاينته فكرة زوال المشروع إلى الأبد وأنه لن تقوم لها قائمة مادام حيّاً؛ فقد ألهمه الله وعوض عنها بعبقريته الفذة الشهيرة جامعة إسلامية معنوية على أروقة صفحات الرسائل العظيمة التي سمّاها بـ"رسائل النور" أي جامعة النور، تقوم مقام الأساتذة والكليات معاً إلى حين..إلى حين أن تعود الحياة إلى مجراها فتعود الأروقة تتردد أصداء أصوات الأساتذة الكبار للعلوم الدينية والدنيوية معاً مجاراة بما تقتضيه

عبقرية روح الدين الإسلامي الحق الأعلى وضرورة العصر الذي نعيش فيه والتقدم العلمي الحديث للإنسانية في هذا القرن والقرن الذي يليه.

فكانت تلك الجامعة الإيمانية الكبرى المسمّاة – كما أسلفنا – برسائل النور خليفة أميناً ومرشداً حكيماً لطلبة العصر بمختلف طبقاته الاجتماعية والثقافية دون تفريق ولا تمييز بل وسهلت الأمور متحاشية كل منغصات ومعضلات الجامعات العالمية بأن نقلت حرمها وقاعات تدريسها الطاهرة إلى البيوت، وتلك لعمر الله تلبية ذكية ومنحة ربانية لحاجات المسلمين العصريين في واقعهم المأساوي الجديد والتي قلما تجد لها نظيراً وهي أولاً وآخراً توفيق رباني محض ورعاية إلهية صرفة أودعها وأكرمها عند رجل صالح كفوء أهل لها.

وهنا أسجل ملاحظة قيّمة أرجو أن تكون جديرة جداً بالالتفات والتصديق من قبل جيل الصحوة الإسلامية المباركة بالدرجة الأولى وهي: أن الغاية الأسمى والأسنى من سمات منهج رسائل النور من وراء كل حقائقها وأنوارها وسننها ومباهجها وخطواتها وفتوحاتها هو العروج درجةً درجةً على سلم الكمالات الربانية على صهوة براق الأسماء الإلهية الحسنى مثولاً مقبولاً ومرضيّاً بين يدي الله سبحانه في رضوانه الأكبر وجنّاته الخالدة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين: ملوك السموات السرمدية في أعلى عليي الصحبة

الفردوسية مع "الله ذي الجلال والإكرام" في أزال الآزال وآباد الآباد، في أجمل وأسعد مهرجانات الحرية وفي أمجد وأخلد أعراس المحبة.

قال - بإعجاب ظاهر ينم عن طيب روح يفتخر بـما أنعـم الله عـلى أخيه الحبيب وهو يحدثه ويحاوره-: لقد قطعت شوطاً بعيداً في التعـرف على بعض جوانب أسرار رسائل النور وحقائقها؛ إلاّ أنه لا يزال يبقى - في قناعتي- ما يهم القارئ والباحث دائماً في جولات استطلاع أخرى في كشف حقائق تلح عليه بالإيضاح والإفصاح مهما أجدنا نحـن في إبـراز معالمها وخصائصها.منها مثلا - وهذا ما يشغل فكري منذ زمان- وهو تُرى بأي أسلوب من الأساليب كتبت الرسائل وما مميزاتها الخاصـة بهـا في هذا المجال لو قارناها مع غيرها من الكتابات الإسلامية المعاصرة أو الغابرة؛ حتى نستطيع أن نقف على بعض حقيقـة سرهـا وسـحرها وأن نحكم على تفوقها وتفردها كذلك؟

قلت -وأنا أتنفس الصعداء-: شكراً جزيلاً على حسن طرحك هذا الموضوع المشوق البهيج على بساط الحوار بيننـا إذ فتحـت لي بابـاً طالمـا تمنيت أن أقدم فكرة طيبة عنها وأن أبّينها للقراء الأعزاء إسهاماً منـي في إلقاء ضوء كاشف متواضع عـلى خفايـا هـذه الرسـائل الملهمـة المهـداة لأهل زماننا والتي ظهرت شعاعاً من شعاعات رحمة للعالمين التجديدي اليوم خاصة في حقول الدعوة والصحوة والجهاد الأقوى.فأبدأ وأقول:

إن رسائل النور تمتاز بظاهرة جلية بـارزة بفـن التخييـل والتـصوير والتمثيـل المطبـوع المبـدع في كـل جـزء مـن أجزائهـا بـشكل ملحـوظ وملموس بحيث لا يكاد يفارقها لحظة وهي طرّتها وشـعارها الأصـيل اللامع، تتلألأ كالدرّة النـادرة بـين كـل مـا وفـق الله للكتـاب العبـاقرة المـؤمنين مـن الأسـاليب والمنـاهج والـسبل البلاغيـة في تـاريخ الأدب الإسلامي حتى هذا اليوم فهي في ملامحها العامة شعر لا كالشعر وهـي نثر لا كالنثر وهي مزيج من الاثنـين معـاً بـل ولعـلي يمكـن أن أسـميه بالشعر المنثور أو النثر المـشعور؛ شيء عجيـب بـديع. إنهـا أشـبه بنـت بالبلاغة القرآنية الكريمة ولا حرج، في عشرات من العلامات والسمات والصفات[٢].

فـسبحان الله العظـيم مـن هـذا الأدب الموسـوم بـأدب ملهـم مـن الوحي، إنها ظاهرة جديدة في عالم الآداب الإنسانية الجميلة.

ومن بدائع بديع الزمان ما حققتـه رسـائله النوريـة مـن انتـصار في ميدان اللغة والفكر كذلك. إنها عملت بأسـلوب بـارع وحكـيم -كـما يعمل المهندس المتقن- دوره وواجبه في مـدّ جـسر بـين طـرفي الحـاضر والماضي تضييقاً للهوة المخيفة العميقـة لتخريبـات المـردة البـشرية مـن

(٢) لدي شواهد وتوافقات كثيرة تثبت لكل قارئ كريم هذه الحقيقة أرجو الله أن يوفقني في إخراجها كتاباً قيّماً بإذنه تعالى.

المفسدين في الأرض - في المحافظة على روح اللغة الإسلامية وتجديد عبقريتها حاملة سرّ وعي الحضارة الإسلامية في معاني كلماتها الطيبة وعجائب مدلولاتها وروائع اصطلاحاتها كركيزة من أقوى ركائز الذاتية الخالدة لهذه الأمة القائمة في محراب السجود لله ربها تبارك وتعالى، تصلي وتدعو وتناجي وتهفو ثم ترتقي وتعرج إلى ما وراء حدود السماوات وتخوم الأبديات حباً للحق، وقرباناً للنور.. هناك في عالم الملكوت الأعلى.

ولعل هذا الجانب الخطير المنير يحتاج إلى أقلام فتية خبيرة في بيان رسالتها في مراحل تاريخ هذا التطور المعاصر للأمة التي قدّم صاحبها حياته وعلمه وجهاده رخيصة فداءً في سبيل دينها والتمسك به.

والمدقق في أدب الرسائل النورية للأديب المفكر المبدع سعيد النورسي بتفحص نابه، يجد ببساطة أن لغة النورسي الرسائلية لغة شعرية طليقة إلا أنها غير موزونة ولا مقفاة، ولعل المعاني الكبيرة والتعابير العجيبة أعجزت لغة الشعر المقفّى أن تحتويها أو تسجنها بين قضبان قوافيها وأقفاص أوزانها؛ ولذلك جاءت مسترسلة منطلقة خافقة كأجنحة الملائكة إلى سماوات المعاني العظيمة رغم أن بعض فقراتها حاولت على طبعها المنساب وسليقتها الإنسانية الشلالية، تتقارب من بحور الأوزان ومن ضفاف القوافي.

فهو بحق شاعر معنىً ومضموناً بل ومن أعظم الشعراء في هذا الصدد، وناثر مبدع أصيل لفظاً ومظهراً بل هو من البلغاء العظام في بابه، وفارس مغوار قلّما تجد له نظيراً أو قرباناً في مضاميره وساحاته.

وانا شخصياً – بعد إجراء مسح عام تقريباً لمعرفة أساليب البيان في كتابة رسائل النور في مجلداتها بلغتها الأصلية المكتوبة بها وهي اللغة العثمانية– توصلت إلى ما يمكن وصفها وصفاً دقيقاً مصيباً إلى درجة بالغة بأن: أسلوب كتابة رسائل النور هو "لغة الجماهير المسلمة".. لغة إفهام معاني الإيمان وحقائقه وآفاقه في أوسع دوائره بين الناس عندهم.

وهذا لا يعني بتاتاً تعطيلها من أسرار البلاغة والفصاحة، بل العكس – كما أرى– هو الصحيح؛ ذلك لأن الأستاذ بديع الزمان: مؤلف الرسائل؛ استطاع – بتوفيق من الله– كما يصرح هو بنفسه أكثر من سبعين مرة أن يكتب تلك الرسائل العميقة الواسعة الأصلية بما يشبه السهل الممتنع كما يقول الأدباء والنقاد.

وهي وإن كانت من جهة قمم الكتابات الأدبية العالمية الراقية بشهادة شاهد من شهود القرن: الشاعر التركي الرائد الشهير محمد عاكف؛ إلا أنها في الوقت نفسه تخاطب عقول العوام وروح الجماهير البشرية في عصرها خاصة، بأقوى عبارات وأثبت حجج وأصفى بيان.

وهذا سرُّ إعجازها النسبي الذي ذكرناه. إنها بكلمة أوضح لغة الفطرة الملهمة التي أكتشفها أو منحها له إيّاه بين ركامات الأساليب اللغوية الركيكة أو الضعيفة أو القاصرة بناء على فقره المطلق وإخلاصه الأعظم وإيمانه بل وإعلانه الصارخ لعبديته العاجزة المسكينة المحتاجة المهتاجة أمام باب حضرة ربه جلّ جلاله.

ولعلي الآن بدأت أفهم ما قد ذهب إليه نجم الشعر الجديد في سماء الأدب التركي المعاصر "محمد عاكف" عندما سئل عن أدب رسائل النور للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي فقال ما مضمونه ومعناه:

"أنّى لرعيل الكلاسيكية الغربية أمثال (شكسبير، وهوغو، ولامارتين، وغيرهم) أن يرتقوا فيستحقوا أن يكونوا خداماً ليصبّوا الماء على يديه وهو يتوضأ من نور أدب القرآن المعجز؟".

مقارنات عابرة

قال بعد طول تفكر: وهل لك بعد كل ذلك أن تحدثني جانباً من مقارنات رسائل النور عن غيرها، فبم مثلاً يختلف كل الاختلاف عنها أو تختص بها من دونها؛ فلقد طالما سمعت عن هذا الأمر شيئاً غير قليل ولا مفهوم؛ عن بعضهم؛ ما لفت نظري وأثار فضولي، لعلي أجد عندك بعض ما أبحث عنه في هذا الخصوص ولاسيما وأنت الذي صاحبت هذه الرسائل سنوات طوالاً لا تكاد تفارقها إلاّ لمسبب قاهر.

قلت: حسنا سأذكر لك طرفاً منها بنبذ ولمحات وأدع تفاصيلها للأيام عسى الله أن يهيئها لك فتملأ عينيك وأذنيك وتملأ أقطار أفكارك وجنبات نفسك فتتوصل بنفسك إلى أطراف أخرى من حقائقها ودقائقها ومن تحفها وكنوزها كذلك؛ فهي والحق: مكتوبات مكثفة مخزونة بجواهر المعاني وجلائل المغازي وبليغات الإشارات ومفاتيح الكشوفات:

– إنها – إن صدَّقتها– تجعلك أقوم إنسان تتحرك وتفكر وتعمل من دون قسر أو ضغط أو اعتبار آخر فهي من الفطرة إلى الفطرة وتعيش في

ظلالها إنساناً ممتازاً متمتعاً بثمرات الحياة والإيمان والشباب والجهاد في آن واحد بتجاوب وتوازن وذوق وشعور وجمال وروحانية وفكر ونور.

- إنها تمسك بلسان الميزان بين كفتي عبقرية الروح وعبقرية المادية إلى أوج آفاقها وهي - من غير مبالغة - كتاب العصر ومنهج العصر ورائد العصر لطموحات العصر بل وأقصى طموحاته في غزو كل شيء ثم للتعارف مع كل شيء والتجاوب مع كل شيء.. معراجاً لمراقي الروح والفكر والمادية.

- إنّك عندما تقرأ رسائل النور فكأن ما تقرأه منها أنت كاتبها ، وكأن ما تتكلم أنت ناشرها، فهي ملكك أنت وهي خارجة منك ونابعة فيك وتعود مالكيتها - وهنا مبعث الاستغراب- إلى القرآن الحكيم لا إلى المستخدم المأجور، والعامل المكدود في مطبعة الحروف القرآنية. فأنت هنا التلميذ والأستاذ والصاحب والناشر والكاتب في آن واحد بكل تواضع وفخر وبكل ثقة وفطرة وبكل جد وإيمان، فهي حق وأنس وهي روح ونفس سواء بسواء.

- أستطيع أن أقول ومن غير أن أتجن على أحد وبقناعة مطمئنة: أن رسائل النور تمتاز ببشارتها الربانية وبصبغتها القرآنية المطموغة بسرٍّ من حقيقة الآية الكريمة: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٥).

إنها كلما قرأتها ازددت ثباتاً وصواباً وأنها كلما مضت أحداث وأيـام ازددت يقيناً واطمئناناً على استقامة منهجها وصدق خطواتهـا وعبقريـة أصالتها. بينما يحصل العكس في غيرهـا اكثـر الأحيـان، إذ كلـما مـضت الأيام استبانت نقائـصها وانكـشفت أخطاؤهـا وافتـضحت عوراتهـا. وتلك لمحة بارقة من لمحات المعجزة المعنويـة للقـرآن الكـريم حقـاً كـما يراها مفسرها خادم القرآن بديع الزمان.

-إنها بدأت بالأميين وأنصاف المتعلمين وما زال يرقيهم في مـدارج العلم والحلم والإيمان واليقين حتى أخـرجهم إلى الوجـود بعـد بـضعة سنين علماء دعاة وجعلهم حكماء قادة يعرفون كيف يعيـشون بمـوازين الوحي ومناهج السنة في بيـوتهم ومجتمعـاتهم بـدينهم الحـق إلى أعمـق أعماق آفاق الحياة والعصر كأعظم الخبراء وأوفقهم للفـلاح عـلى سـنن التطور والكمال بصبر ووفاء وصدق وصفاء.

- إيجادها اقصر الطرق واختيار أيـسر الـسبل بأقـل الـزمن وأزهـد الثمن للوصول إلى معالي الأمور وقمم الحقائق ورياض الأنوار.

- إنها قطعت الطريق على الأعداء المعاصرين الـذين يُـصفّون قـادة الإسلام ورواده بين حين وحين كلما رأوا ثمرة نضجت عملوا مناجلهم الجهنمية القاسية في حصادها للموت قطعا للنسل الجديد المجاهد وقبراً للجيل الناضج المتطور.

فهي على خلاف هذه القاعدة: إذ إنها هيأت لقارئها في كل مكان حصانة ربانية ومناعة سرية ضد هذه الأسلحة العصرية الفتاكة بأن ركّز على القيادة المعنوية والشخصية المعنوية مما جعلت الثانية (أعني الأشخاص وأعلام الإسلام) يأتون بالدرجة الثانية. وهي ما تفتأ تبدع في إخراج نماذج جديدة صلبة مؤمنة واعية لحلبة الوجود، وبذلك فوتت بإذن الله على الأجهزة الجاهلية المتفرعنة أغلى فرصة وأخطرها للقضاء على براعم وأثمار الشخصيات الإيمانية المجاهدة الفقهية. وهذه أرقى سلاح معاصر وأمضاه تشهره رسائل النور ضد أعداء النور، وعبدة الظلمات وجلادي الشعوب الطواغيت مؤكدة دائماً وصارخة كزئير الأسد الغضوب في وجه الأيام: إن الزمان اليوم ليس بزمان الأشخاص بل هو زمان الشخصيات المعنوية العاصية على التفتيت والانهزام والفناء.

وأزيدك ختاماً بهذه الخلاصة المفيدة وهي:

إني قرأت خلال نصف قرن أو يزيد مئات الكتب ، ولكنني لم أجد من بين تلك الكتب كتاباً هو أشد قوة وأعظم حلاوة وأسنى نوراً واكثر وضوحاً وأصفى إخلاصاً وأفهم للروح والعقل والفطرة وأدوم أثر وأكثر فعالية وأقرب منالاً للحقائق والمعاني والأسرار والرموز والمصالح الدنيوية والأخروية وأدنى لصوقاً بواقع الحياة المعاصر

وأوسع أفقاً وارفع مستوىً وأفقه إيماناً وأرسى قواعد لـصرح الحـضارة الإسلامية الجديدة المنتظرة.. من رسائل النور.

نعم إن رسائل النور– بعد دراسة وفهم وتذوق – وبعبارة مختـصرة جداً هي: "ناطحات السحاب" في مدينة الكتب الإسلامية المعاصرة.

الفصل الثاني

حول الأستاذ النورسي نفسه

وقال وهو يعاود الحوار اللذيذة معي:

-وماذا تعرف عن صاحب الرسائل نفسه الذي تجلّت أنوارها كما فهمت من أفواه بعض الناس في لسانه وقلمه وفي سيره وسيرته؟!

قلت: إن ما أعرفه عنه إنما هو خلاصة رحلتي في عالم رسائله الرحب العجيب عبر قراءاتي المتأنية المتوالية لها وهي تتحدث عن ما وراء شخصيته المعتادة المعروفة أمام أنظار الناس أينما حلّ وارتحل عما سمعت عنه بألسنة طلبته القدامى الثابتين العاملين، ولذلك أريد أن ألقي ضوءاً هادئاً دافئاً على آفاق شخصيته المعنوية العظيمة والتي تهمنا اكثر مما تهمنا حياته المحنطة كالصور الفوتوغرافية والمصورة بأصابع الليل والنهار حيث لا جدّة ولا غرابة بل هي أرقام وحروف وخطوط.

قال مستوضحاً: قل كما تشاء ولكن أفصح.

قلت جاداً: فاستمع وأنصت إذن ولا تقاطعني حتى أحدث لك منه ذكراً.

قال: رضيت ووافقت.

قلت: سأحظر جُلّ اهتمامي لمعرفة أبعاد حياته كما أراها في محاور ثلاثة:

تعاريفي الخاصة عنه، نماذج من صفاته، لمحات من منجزاته...

فأبدأ أولاً بالتعاريف قائلاً:

إن كليات رسائل النور لتبين بما لا يقبل الشك أو الظن؛ كفاءة الأستاذ بديع الزمان وبروزه وتفوقه في كل فن من فنون الحكمة للعلوم الإسلامية: فإشارات الإعجاز في مظان الإيجاز مثلاً يبين قدرته كمفسر بارع، والمثنوي العربي النوري كأديب حكيم، والمناظرات كفقيه واعظ، ورسالة الحشر كفيلسوف عبقري، والمكتوبات كداعية بصير، والشعاعات كعالم لامع، والمعجزات الأحمدية وأصول فهم الأحاديث كمحدث يبز أقرانه المحدثين في زمانه واكثر، وفي تفاريق رسائله الأخرى كعلاّمة رائد في علم الكلام لا يشق له غبار.

أما كتابه الابرع والألمع "سوزلر: الكلمات "فيظهره كأستاذ متربع على عرش الولاية بكل لياقة وجدارة تماماً كما كان القدر قد أجلسه على شجرة الدلب المنتصبة كالعملاق ذات الأفرع الثلاثة الشامخة السامقة كأنها معراج ممتد عند قاعدة بوابة السماء أمام بيته المتواضع ثمانية أعوام كاملة في قرية "بارلا!"

هذا ولئن كان الشيخ عبد القادر الكيلاني كما لقّبوه في عصره بالباز الأشهب في قمم الإرشاد والهداية؛ فان الأستاذ سعيد النورسي عند محبيه هو العندليب القرآني الأمثل في سماء الدعوة عبر أجيال قافلة المجددين.

❋ إنه في أحدث تعريف لي من تعاريفي العديدة له أنه بحق: فيلسوف الدعاة الخبير للطلائع الإسلامية المعاصرة، والمهندس العبقري اللامع لخرائط المناهج القرآنية أمام تحدّيات الأزمنة الجاهلية المرتدة في حاضرنا اليوم لتبليغ الحقائق الكبرى في أوسع جغرافيات الجماهير المؤمنة بأروع شوط وبأسرع وقت وأعظم نصر وأقل خسر.. فهو من هنا يعتبر موسوعة إسلامية كبيرة أمينة باهرة في بلاغة الأصول والموازين والقواعد للعمل الإسلامي الجاد العصري المنصور على مناهج النور المبين.

فما أشد حاجة المسلمين اليوم بالذات في أقطار العالم كله في التعرف عليه ودراسة مراحله الثلاث: القديم والجديد والثالث، واستخراج الدروس والعبر من حياته وكفاحه وفقهه ومخططاته، فهو اكثر من عالم في فن.

❋ ولعل من أصدق ما يمكن أن يوصف به الأستاذ بديع الزمان الذي ينسجم ويوافق روح شخصيته وروح رسائله معاً هو أنه: الرائد

الجماهيري المسلم الجسور العارف الذي عانى ما عانته وشقي ما شـقته وعاش ما عاشته لحظة بلحظة وذاق مرارته قطرة بقطرة.

فهو لذلك عندي خير مثال من يمثـل روح الجماهـير المـسلمة التـي انحدرت بعد سقوط الخلافة ثم أخذت تنهض نهوضها بتثاقـل وكفـاح وعناد بل وعبقرية وشجاعة وحكمة نادرة في تاريخ الحركات المعـاصرة للدعوة الإسلامية.

وهو برسائله المئة والثلاثين ظاهرة فكرية وعلمية في عـالم الحـضارة تستحق الدراسة كل الدراسة من لدن العـاملين الخـبراء العـادلين فقـد تكون أعجوبة الأعاجيب في نوعها وأسلوبها ومنهجها وأبعادهـا ومـن ثم في أثرها وثمارها ما تؤذن ببشائر الخير العظيم بعد هجمـة هـذا الـشر المستطير الذي يعم المعمورة اليـوم شرقـاً وغربـاً وتـؤذن بطلائـع فجـر جديد للعالم الإسلامي المنكود البائس، بابتكار نهجهـا الـسليم الحكـيم العظيم.

❋ عندما آذن القدر بإرادة الله ووفق سنته أن ينحدر نجـم الـسلطان عبد الحميد: ذلك البطل المسلم المظلوم والمفترى عليه، للأفول إلى الأبد كخادم للشريعة الإسلامية الغرّاء في نهاية القرن الثالث عشر الهجـري.. هيأ الله في عاصمة الإسلام الأخيرة نفسها لـنجم بـديع الزمـان سـعيد النورسي للتألق إلى الأبد في سماء العالم الإسلامي المتداعي كأعظم خادم

للقرآن الكريم في بداية القرن الرابع عشر؛ ليكون سلطانا حبيبا نجيباً لملايين القلوب والأدمغة والأرواح من المسلمين المجندين في معسكر الدعوة الإلهية لإعلان راية العبودية الخالصة الخالدة لله رب العالمين.

وهكذا نرى ونلاحظ كيف يتجلى ميزان الرحمة الإلهية والعدالة الربانية في أفول بطل وبزوغ بطل وكلاهما من رجالات القدر.

* نعم إن السيد سعيد النورسي أحد أواخر عباقرة الإسلام الأفذاذ الغرباء يعلن بلسان فصيح عال من على منبر بلاغة الصحافة الإسلامية المجاهدة بمطلع عصر "الشخصية المعنوية العظيمة" للعمل الإسلامي الجماهيري الأصلح، وينعي عصر العمل الفردي الضعيف الضئيل الذي بدأ الزمان يشيعه على ألحانه الجنائزية إلى مقبرة الغروب المحتوم وراء أفق هذا العصر المدبر.

قال وقد فلت زمام نفسه من يديه مبهوراً بهذه العبارات: رائع!

قلت: وأثنّي بشيء من نماذج صفاته وأقول:

*إن هذا الرجل الصالح شخصية حضارية مرموقة واسعة فاعلة متحركة متنوعة جذابة قلما نجد لها نظيراً أو بديلاً في تاريخ رجال الفكر والدعوة والتربية والسياسة.لذا تتسع دراستها لجوانب شتّى.. فهو مثلاً شيخ الشيوخ في زمانه ولا يشبه الشيوخ المعروفين في عالم المتصوفة.وهو عالم العلماء في عصره ولا يشبه العلماء التقليديين في دنيا العلم؛ بل هو

نسيج وحده وفريد دهره وأعجوبة أعاجيب الأيام يحمل ارفع وسام الشرف في خدمة القرآن وفن تبليغه البليغ الثائر الحكيم ما يستحق بحق أن يلقب بـ "بديع الزمان".

* إنه شخصية عملاقة فذة عبر أجيال من القرون: فهو رجل وكتاب معاً أي أن رسائله كأنها هو، وهو كأنه رسائل النور. وهذه – في نظري – لمحة أو لميحة أخرى من أنوار حقيقة قولة أُمنا الصديقة "عائشة" رضي الله عنها لمّا سُئلت عن خُلق الرسول العظيم ﷺ فقالت كلمتها المشهورة الخالدة: "كان خلقه القرآن".. عمقاً وسعة وارتفاعاً.

* ومن أعجب مزايا الأستاذ العظيم سعيدنا النورسي الذي انفرد بها من بين فطاحل العلماء وحتى من طبقة المجددين المشاهير أنه لم يكن لديه لا في السفر ولا في الحضر، مراجع أو مكتبات يعتمد أو يستند عليها في فتاويه ومواقفه وإرشاداته بل كان لا يملك لديه على وجه الأرض غير القرآن الكريم وما يضم في طوايا صدره من مكتبة المتون التي بلغت على حد قول أحد تلاميذه الأوفياء "مصطفى صونغور" نيّفاً وثمانين كتاباً من أمهات المصادر .

وهذا جانب مخفي من جوانبه المجهولة، يزيد إعجاب الدارس الحصيف إعجاباً على إعجابه وطابع آخر من طوابع عبقريته النادرة في عصرنا فعلاً بل وإنه ليلقي ظلاً ربانياً كريماً على صبغة علمه اللدني بما لا يدع للاثنين الفاهمين مجالاً من جدل أو خلاف وهي سمته الخاصة به.

حقاً كان الأستاذ النورسي لم يكن معه طوال حياة السعيد الجديد أو السعيد الثاني كما يطلق هو على نفسه أحياناً؛ لا مصدرا ولا مرجعاً واحداً عدا القرآن الكريم ولكنه كان يحمل معه مكتبته التي تضم أصول العلوم الإسلامية ومتونها موضوعة فوق رفوف ذاكرته الخارقة ومسجلة على شرائط قلبه العبقري باقتدار نادر رغم حياته العاصفة المحفوفة بالأهوال والمخاوف والمخاطر والشدائد حتى لكأنه كان هو وحده يحمل كوارث العالم الإسلامي الجريح، على كاهله مع شدة ضعفه وعظم عجزه فكأن أن صارا بفضل الله وحكمته سر قوته وسر نصره وسر عظمته في تبليغ رسالته وتحقيق مهمته بنجاح مدهش جدير بالدراسة والاعتبار لدى مراقبي الحركات الإسلامية المعاصرة لأمة محمدﷺ.

فهل من باحث باسل يتصدى لهذه المهمة المقدسة التي تعود بركاتها على المسلمين المعاصرين خاصة والمسلمين المنتظرين دورهم وهم صفوف وراء الغيب عند أفق الغد القريب عامة وله البشرى في الدنيا والآخرة؟!

* إن أستاذنا بديع الزمان هذا، خليط عجيب ومزيج نادر في عالمنا الحاضر نحن خاصة..فهو عالم وليس كالعلماء، وهو صوفي وليس كالمتصوفين، وهو أديب وليس كالأدباء، وهو مفكر وليس كالمفكرين،

وهو داعية وليس كالدعاة وهو مرب وليس كالمربين، وهو قائد وليس كالقادة.. وأخيراً وهو سياسي وليس كالسياسيين.

وهو بمفرده دائرة معارف خاصة في العلم والأدب والتصوف والفكر والدعوة والتربية والقيادة والفقه والسياسة. ففيه من كل فن نصيب وافر، وحظ سافر ولكنه فوق ذلك فهو تكوين مركب وأمشاج منسق ونسيج متفرد، ومن ثمّ فقد حُقّ له من هنا أن يسمي نفسه – متواضعاً أو تأدبياً – ببدعة الزمان! كما وحُقّ للناس أن يلقبوه ببديع الزمان، أين منه بديع الزمان الهمداني؟!

ولذلك يمكننا – وهنا أتكلم نيابة عن قراء رسائل النور الوعاة– أن نقول من جملة ما نقول عنه.. أنه عالم بديع، وأديب بديع، وولي بديع، وفيلسوف بديع، ومربّ بديع، وداعية بديع بل وإمام بديع كذلك.

هذا بديع الزمان كما عرفناه من آثار ه ورسائله وحياته ومدرسته ومناهجه وطلابه ودراسات المحققين البارزين فيه وشهادة الشاهدين له من الذين عاصروه وراقبوه سواء على صفحات الوثائق أو على لوحات الرقائق. فهو خادم وإمام، وهو هو دائماً: بديع، بديع، بديع.. أينما وقفت تنظر إليه، وهو مظهر تجلٍّ من تجليات اسم "البديع" فيما أنيط به من خدمة القرآن الكريم قائما يدعو في محراب الإيمان الطهور !.

ومن أغرب صفة من صفات الأستاذ النورسي الأخلاقية العالية بل ولعلها أوفقها لطبيعته وسجيته من بين أقرانه من المجددين أو من جيل عباقرة التجديد الديني في الإسلام أنه: سهلٌ، ليّن، متسامح، عف اللسان والجنان مع أهل الجماعات الإسلامية وفرقها بما يكاد يُلمس لمساً حتى لتستطيع أن تقول -وأنت صادق ومطمئن-: أنه لم يسبق له أن جرح فئة مسلمة أو عنف طائفة مؤمنة لخصوصية من خصوصياتها التي تعد في نظر غيره تحريفاً وانحرافاً أو ضلالاً، بناءً على ما لديه من ميزان قويم كفّتاه الرحمة والإنصاف.

وهكذا يكون قد فتح هذا العلاّمة الفهّامة بموقفه المشرف الحكيم هذا باباً جديداً لمفهوم فلسفة التجديد لما بعده من أجيال أهل الهمة والمهمة لأداء رسالة أمانة التجديد في مسارات التيار الإسلامي الرقراق في نهر الحياة.

فهو بهذا الاعتبار ومن هذا المنظار أول من دعا إلى الإيجابية الطيّبة الفعّالة في الدعوة إلى الإسلام: إيماناً وحياةً وشريعةً، وأول من طبقة على خطوات جهاده، ووقّعه على بصمات فتوحاته، وهو أول من أرسى دعائمها في كيان جماعته ليكملوا مشوار المراحل الأخرى من بعده على نهج هديه، ونور فقهه، وعبقرية روحه.

ونظرة إلى واقع طلابه الأوفياء وإنجازاتهم البارعة السباقة في هـذا الميدان الأصيل للعمل في سبيل خدمة هـذا الـدين العزيـز، تقطـع كـل شبهة وتحقق كل حسنة بل وتقيم مناراً كالفنار عـلى سـواحل البحـار لا يحتاج إلى نقاش أو دليل النفي والإثبات.

* لو اقتنعنا وصدّقنا أن طلائـع المهـدي الأكـبر الموعـود بالبـشارة النبوية المتواترة وتباشير بعثته على مراحل ثلاث: الإيـمان أولاً، والحيـاة ثانيــاً، والــشريعة ثالثــاً بــلا تقــديم ولا تــأخير وبــلا اســتبطاء ولا استعجال..فـان لكـل مرحلـة مـن تلـك المراحـل مهـدّيها المخـتص أو المهديون الصغار الذين يمهدون له طريق النصر العظيم بأذن الله. وعلى ضوء هذه النظرية، لا أشك لحظة واحدة من أن من بين من هـم أولئـك المهديون الراشدون من يستحق كل الاستحقاق بجدارة وإكبـار وحـب وتقدير؛ لينال لقب "مهدي الإيمان" أو بطل الإيمان وبالتعبير العصري؛ إنما هـو ذلكـم الأسـتاذ العبقـري الملهـم الـشيخ بـديع الزمـان سـعيد النورسي. وان نظرة شاملة واعية لتاريخ حياته وبـالأخص الأخـص في مرحلة ما يسميها هو بنفسه: سعيد الجديد؛ لكفيلـة أن يلمـس المـرء أو القارئ الجيد بنفسه هذه الحقيقة بأجلى صورها، وأظهر ملامحها.

* هذا وأخـيراً ولـيس آخـراً، انـك لـو رحـت تستقـصي جوانـب شخصيته العملاقة الفذة على مدى سني حياته الحافلة بجلائل الأعـمال وفرائد الأحوال:

فهو نـسيج وحـده قطـب أقطـاب، وفـارس فرسـان يجمـع في سر أسراره: روح الإمام الغـزالي في تجديـد علـوم الـدين، وبطولـة صـلاح الدين في قهر غارات الـصليبيين الجـدد، وعبقريـة الـشيخ عبـد القـادر الكيلاني في تصنيع الرجال الأخيار، وسـحر جـلال الـدين الرومـي في إظهار حقائق المعجزة المعنوية للبلاغـة القرآنيـة، وحكمـة الإمـام احمـد الفاروقي السرهندي في خطوات الـدعوة وسياسـتها الـشرعية البعيـدة النظر .

وبكلمة أبلغ: إنه رجل قدر العالم الإسـلامي في حمـل أمانـة رسـالة الإيـمان – المرحلـة الأولى الأساسـية مـن المراحـل الجهـاد الإسـلامية الثلاث: الإيمان – والحياة – والشريعة في انتصار الدين العظيم وانبثـاق فجر حضارته الثانية في دورتـه التاريخيـة المتفـردة الآتيـة لا ريـب فيهـا والظاهرة كعـودة الربيـع في يومـه المقـدور الموعـود مـثلما أنبأنـا النبـي الصادق الأمين ﷺ قبيل قيام الساعة ودمار الدنيا نهائياً وإلى الأبد.

... ثم ألق كلامه بكلام آخر من غير أن ينتظر مني جواباً أو تعليقـاً **قائلاً**: ولا أكتمك أنني لم أكن أعرف عن هذا الرجل البـديع حقـا تلـك الصفحات المجهولة بهذا العمق وهذه الخطورة.. فشكراً على هذا البيان إلا أنه يبقى عندي الشيء الذي لم أفهمه واضحاً ولم أسـتطع لـه تفـسيراً معقولاً وهو: لماذا كان الأستاذ النـورسي يريـد أن يعّـرف نفـسه بتلـك

اللهجة وذلك الأسلوب؟ألم يكن يخاف سوء الفهم أو أن يتهم بحب النفس و حب الظهور وهو من هو المعروف بنكران الذات والبعد عن الرياء.

قلت: إذن ثمة إشكال ولابدّ من محاولة توضيحية وإزالته من الخواطر والأذهان.

قال: هذا بالتأكيد!

قلت: تسألني لماذا كان الأستاذ النورسي يعّرف نفسه بنفسه لطلابه وللناس في بعض رسائله وذكرياته أحياناً؟ أو بالأحرى ما الذي دعاه إلى ذلك؟

لعل الجواب الصحيح الدقيق في نظري والله أعلم إنه إنما فعل ذلك:

أولاً: تحدّثاً بنعمة الله التي منحها الله إياه من دون الناس بشكل نادر وغريب.

ثانياً: لكثافة التعتيم الإعلامي عليه آنذاك من قبل الأعداء الأقوياء والسلطات الجائرة لإخفات صوته وإخفاء صورته ومن ثم القضاء على دوره ورسالته.

ثالثاً: لعدم تصور المقربين إليه مـن طلابـه وأصـحابه ورقبائـه مـن مغزى رسالته وكنه شخصيته الجديدة مما ألقى عليه من قول ثقيل وأمانة تنوء تحتها الجبال الشم أسوة بنبيّه الأعظم سيد أسياد الدعاة ﷺ.

وإلا فهو – كما نعلم – أبعد الناس في زمانه عن إطراء نفسه وتمديح ذاته وقد عانى ما عانى ومرّ بهذه التجربـة في عهـده الأول وهـو في أوج عزته وقمة شهرته في أكبر دولة عالمية آنذاك أعنى بهـا: الدولـة العثمانيـة الكبرى.

قال معقبا باحتجاج مفتعل: وماذا تركت لي من شيء حتى أقول مـا أريد أن أقول فقد أفصحت وأجدت وأرجو الآن أن تـسرد لي حـديثك الشيّق عن منجزاته كما وعدت وأعلنت.

قلت: أفعل بعون الله وليكن كلـك آذانـاً تـصغي وبـواطن تتـدبر؛ وأثلّث بلمحات من منجزاته فأقول:

إن الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي – في يقيني – هو الأنمـوذج الأصوب والأسلم والأقصر والأبقى لفقه الجهاد المعاصر أمام أعاصـير الكفر والطغيان وطوفان الجاهلية والإلحـاد ونـيران الفـساد والارتـداد لمواكب الحركات الإسلامية الجديدة على خارطة قارتنا المسلمة.

لقد ثبت عندي بالأدلة والحـدس والتجـارب والقناعـة الذاتيـة أن شخصية هذا الإمام المجدد نعمة ربانية مهداة، وبشرى عظيمة منجّاة بها

أجرى الله على يديه من تبيان منهج دقيق عميق، سليم حليم، بديع منيع، سعيد رشيد، صائب لاحب، واسع شاسع، منير خبير، رائق شائق، واضح ناصح، لذيذ عزيز، حاد جاد، قوي عليّ، هادئ هادي من أقداس قلب حقائق القرآن الكريم وصميم السنة النبوية الكبرى.

فهو لذلك من هنا رجل القدر حقاً لمسلمي العالم الحاضر كله في هذا العصر، وان لم تصدقوا فاسألوا أهل الذكر من خبراء رسائل النور وستعلمون وتتيقنون في ذلك كل درجات اليقين تباعاً: علم اليقين أولاً ثم عين اليقين ثانياً..فحق اليقين أخيرا. ولكن فقط لا تستعجلوا ولا تطلقوا الأحكام جزافاً من غير تحقيق عادل وتثبّت محيط كما علّمنا قرآننا في موازين الدين الحق بما يليق مقامنا الذي رفعنا إليه بفضله المحض بمعراج هذه الآية الكريمة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (سورة البقرة:١٤٣).وهل يعقل ألاّ يكون شهداء مثل هذه الأمة المصطفاة إلاّ عدولاً غاية العدل ومنصفين منتهى الإنصاف في تقييم الأشخاص والجماعات والمواقف والأحداث؟!

* ومن أجل ذلك أرى أن كل مسلم صادق غيور في عالمنا البهيج كله أن يعرف معرفة تامة شاملة عن حياة الأستاذ الأكرم بديع الزمان وعن رسائله ومدرسته وآثاره وطلابه.. النموذج الحيّ الراقي الذي ضرب أعلى رقم قياسي في حلبة الخدمة في دعوة الله سبحانه وتعالى في

هذا القرن بالذات للعبقرية الإسلامية الخالدة ضد أطغى طغيان القرون الماضية المسلحة بكل أجهزتها الجهنمية الكافرة للقضاء الأبدي على جذور هذا الدين وقد خابوا :﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ﴾ (الصف:٨).

ولكن الأستاذ الملهم الجسور تصدّى لها كلها ببطولة نادرة جداً وحكمة بالغة جداً وإيمان خارق جداً... فكان حقاً بطل أبطال أولياء عصره بكل تواضع جم وتجرد مدهش وإخلاص فذ وبأقل التضحيات وأدنى الخسارات قياساً بل ومقارنة بغيره من الدعاة الآخرين فيما بعد.

وهذا بحد ذاته إنجاز رائع ضخم يقتدي به أو يقدّر لأجله وهو يسير بجماعته على هدي سيره نبي هذه الأمة العليا، ﷺ بفقه سديد وأسلوب جديد.

* ومن ابرز الإنجازات التي حقّقتها هذا الأستاذ الحكيم والعارف البصير أنه لم يكن ممن حواليه من العلماء أو حتى أنصاف العلماء من غير الشباب الشهم الجريء المتطلع إلى آفاق النور ومدارج الحق ومعارج الخُلق العظيم بل ولعل اغلبهم كان أمياً تاماً لا يقرأ ولا يكتب أصلاً فأوصلهم بهمّة إيمانية متميزة إلى مصاف العلماء وهم اليوم - وخاصة الرعيل الأول منهم- مراجع أمينة ومحاور فعّالة للقضايا الإسلامية العالمية المعاصرة وقد فتح الطريق الجديد على ضوء فقه النور للعمل

المقبول المشروع في مجتمع يتسم بكل مظاهر الخنوع والردة والفساد.. فكان عملا جبارا وإنجازا رائعاً يشهد له التاريخ القريب والحاضر القائم الحيّ.

* هذا وان بديع الزمان: هذا الأستاذ العظيم، ليمنح الإنسان القارئ من جملة ما يمنحه من عجائب العطايا السخية، منظاراً ذا نافذتين لا نظير له في عالم صناعة المناظير فيما يخص الإيمان بالله وحده.. تطلك أحداهما كالتلسكوب آفاق الأفلاك وما وراءها من عوالم الشهود، وتطلك الأخرى كالميكروسكوب آفاق الذّرات وما أصغرها من عوالم الغيب المسموح به أن يطلع إليه عقل الإنسان المكرم في حدوده وطاقاته، حتى إنك لترى الذّرة مجرّة والمجرة ذرة، وترى الزهرة جنة والجنة زهرة!

فلو كنت أستطيع أن اسمع صوتي إلى أوساط المثقفين المؤمنين، أينما كانوا في أطراف العالم المتقلب الرهيب؛ لصرحت بملء فمي من منبر النصح والتذكير:

يا إخوة القرآن!

ألا هاكم النموذج الأمثل للمنهج الأمثل الإسلامي الأصيل فاتخذوه سبيلا خطوة خطوة، مرحلة مرحلة؛ تختصروا المسافات الطويلة، وتتفادوا الأزمات المعقدة، وتنجوا من المؤامرات المحبوكة

حبكاً ماكراً غادراً.. ومن ثم تكونوا حقاً مرة أخرى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ بإذن الله؛ وذلك هو الطريق المستقيم وأمل النصر العظيم.

قال بانفعال واندهاش: بخٍ بخٍ! لقد أوجزت وأوفيت ولكني مازلت أتطلع إلى مزيد فلكم شوقتني إلى مباهج هذا العالم المجهول القريب التناوب والبعيد التناوش في وقت واحد.

قلت باعتزاز وحماس: نعم لي عنه شيء كثير ولكنني سأختم كلامي هاهنا معك بملحق صغير أراه لزاماً عليَ بيانه حتى تكتمل عندك الصورة الواضحة بإطارها الجميل.

قال متلهفاً: وما هو جزاك الله عني خيراً.

قلت: إن ما أريد أن أضيفه على ما سبق هو أن تلاميذ هذا الأستاذ الشهير، قد طوّروا روح رسائل النور ون-زلوا بها إلى ساحات العمل والتطبيق والترجمة فأنشأوا مدارس ومؤسسات ومرافق حضارية عصرية جديرة بأن تسمّى بأدوات التجديد الأصلية في هذا الزمان فكانت مدارس النور التي أسسها في عزّ حياته وعنفوان دعوته، رباطات وزوايا وتكايا ولكنها من نوع آخر؛ فهي تجمع بين أصالة القديم وحداثة المعاصرة: وهي من حيث القديم مساجد وحلقات ذكر وكُتاب تعليم وتربية. ومن حيث الجديد فهي مدارس وجامعات

ومكتبات ومجاميع علمية وندوات أدبية نظيفة جداً، متواضعة جداً وجادة جداً. وهي للداخلين فيها رياض الأرواح وبساتين القلوب، ومعامل الإبداعات ومصانع الرجال ورياض الأطفال وخنادق الأبطال ومرابط المجاهدين ومعاهد الفقهاء ودور الدعاة. وهي كذلك مطعم ومشرب وفندق ومنتدى ومعسكر قائم في أعماق المجتمع الحديث قريباً قريباً من وجدانات البشرية المعاصرة في يومياتها العتيدة.

وهي بعد ذلك كله مرافق حياة متطورة واجبة بأن تشاهد وأن تعاش ثم تكتب عنها ريبورتاجات موسعة واستطلاعات مخلصة وتستخرج منها أسرارها وأدوارها وتجاربها بل وضرورتها العصرية في قرننا هذا الذي يعتبر تجديداً في هذا الجانب كذلك دروساً بليغة مستقاة للمجتمع المسلم في كل مكان وأنموذجاً للحركات المجاهدة في حلبة هذا العالم المزدحم فهي كأنها زوايا متصوفة ومجمع علماء ومعسكر جند ومصنع رجال ومعاهد تربية ومؤسسات صحية ومدرسة إرشاد ومنطلق جهاد اكبر ونادي شباب أبرار وخلايا نحل بشرية ومملكة نمل إسلامية.. تتم بحيوية مبهجة وخطوات واثقة ثابتة وعمل صامت مخلص مثمر ومؤثر وملتقى أحباب ومنتدى أدباء وكهف مفكرين.

نعم يا محدثي الموقر في هذا الحوار الكريم لا تنس أن من أعظم آثار هذا الداعية المفكر البديع بعد مجلدات رسائل النور التي هي مفخرته

الكبرى أبداً؛ هو طلبته الأوفياء الأصفياء الذين يواصلون مسيرته الإيمانية والعلمية والأخلاقية وسائر أجنحتها الحضارية المرموقة بهمّة ورحمة وحكمة والذين هم اليوم يعتبرون طليعة قوافل فجر الأمل الأغر الأكيد في ليالي اليأس والضياع والباطل.

فقال معقباً بلهجة قاطعة: وإلى هنا أشكرك جداً، أشكرك شكر من يعرف وزن كلامك وصدق طويتك ويعرف أيضا مقاصد نيتك الصالحة ولذلك أرجو لك من سويداء قلبي كل سداد وتوفيق في هذا الدرب المنير.

قلت: وأنا أرجو لك كل ذلك كذلك.

الفصل الثالث

سنابل من نور

نعم أيها الأخ المؤمن الكريم!

اعلم إن رسائل النور كلّيات بديهيات، وحقائق يقينيات، وقواعد أصول، وسنن موازين بشكل مبسط واضح ومكثف بلا نظير، يفهمها اغلب الناس بل ويتذوقها فكأنها مرآة التنزيل وصدى صوت جبريل.

والآن -وقد حان الوقت حق حينه- أقدم لك استعراضاً عاماً مهيباً حبيباً لمئة كلمة من أساطيل رسائل النور لتكون شواهد صادقة ناطقة على كل ما صرحناه من أفكار وملاحظات ومذكرات ومشاعر يقينيات حول عبقرية الأستاذ وعبقرية رسائله وعبقرية جماعته من بعد إلى هذه اللحظة التي أحاور فيها مع صديق عزيز مثقف واع يتحرق ناراً ويتضوء نوراً لحاضر هذا الدين العظيم ومستقبله ولأجياله الفتية المؤمنة الباسلة المتحدية لمردة الحضارات المادية الملحدة وشياطينها الكفرة الفجرة ببطولة الذات الإسلامية الأصلية التي أخرجتها وأبدعتها معجزة العلم والإيمان: جناحي براق العبودية الحقة، لتتحرر من ظلمات الوثنية الجديدة أولاً ثم لتحقق شخصيتها الواقعية المثالية في ارض الابتلاء ثانيا؛ مسجلة أروع الانتصارات الخالدة على مشاهد الكون ثم

لترتقي ثالثاً قمم معارج الحب والنور والرضوان في ملكوت السماوات العلا.. قريباً قريباً من ظلال مقعد صدق عند مليك مقتدر، في فردوس قربه الأعلى بفضله ورحمته.

واليك إذن سنابل من نورها ولآلئ من كنوزها وشواهد من سطورها ثم احكم أنت بنفسك؛ فأنت -كما أرى- أهل لذلك إن شاء الله:

* إن الاقتصاد كما هو شكر معنوي، فهو توقير للرحمة الإلهية الكامنة في النعم والإحسان.. وهو سبب حاسم للبركة والاستكثار.. وهو مدار صحة الجسد كالحمية.. وهو سبيل إلى العزة بالابتعاد عن ذلّ الاستجداء المعنوي وهو وسيلة قويةَ لإحساس ما في النعم ولآلاء من لذة.. وهو سبب متين لتذوق اللذائذ المخبأة في ثنايا نعمٍ تبدو غير لذيذة.. ولكون الإسراف يخالف الحِكَم المذكورة آنفاً باتت عواقبه وخيمة. **(اللمعات، اللمعة١٩)**

* إن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول: ((إن مسلكي حق وهو افضل واجمل)) من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: ((الحق هو مسلكي فحسب)) أو ((إن الحسن والجمال في مسلكي وحده)) الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها. **(اللمعات ، اللمعة ٢٠)**

❋ إن رضى الله لا ينال إلا بالإخلاص، فرضاه سبحانه ليس بكثرة التابعين ولا باطراد النجاح والتوفيق في الأعمال، ذلك لان تكثير التابعين والتوفيق في الأعمال هو مما يتولاه الله سبحانه بفضله وكرمه، فلا يُسأل ولا يطلب بل يؤتيه الله سبحانه من يشاء. (**اللمعات، اللمعة ٢٠**)

❋ إن الإنسان لم يأت إلى هذه الدنيا لقضاء عيش ناعم جميل مغمور بنسمات الراحة والصفاء، بل جاء إلى هنا ليغنم سعادة حياةٍ أبدية دائمة بما يُسّر له من سبل التجارة برأس ماله العظيم الذي هو العمر. (**اللمعات، اللمعة٢٥**).

❋ أن يفنى كل في الآخر، أي أن ينسى كل أخ حسياته النفسانية، ويعيش فكراً مع مزايا إخوانه وفضائلهم. (**اللمعات، اللمعة ٢١**)

❋ لا تلقوا اللحم أمام الحصان ولا العشب أمام الأسد. (**اللمعات، اللمعة ٢٦**)

❋ من المعلوم أن حكم اثنين من أهل الاختصاص في علم أو صنعة يرجّح على آلاف من غيرهم. (**الكلمات، الكلمة ١٠**)

❋ كما تبدل الملابس باختلاف المواسم، وتغيّر الأدوية حسب حاجة المرضى، كذلك تبدل الشرائع حسب العصور، وتدور الأحكام وفق استعدادات الأمم الفطرية، لأن الأحكام الشرعية الفرعية تتبع

الأحوال البشرية، وتأتي منسجمة معها وتصبح دواء لدائها. **(الكلمات، الكلمة٢٧)**

*إن السياسة المعاصرة دخل فيها كثير من الكذب والحيلة والشيطنة فصارت في حكم وسوسة الشياطين. **(المثنوي العربي النوري، حباب من عمان القرآن الكريم)**.

* إن عدالة القرآن تقف على باب العالم وتصيح في الربا: ممنوع، لا يحق لك الدخول!. **(المكتوبات، نوى الحقائق)**

* العاقل هو مَن يعمل على قاعدة: ((خذ ما صفا.. دع ما كدر)) . **(الكلمات، الكلمة ٨)**

* إن الله واحد أحد، فلا تتعب نفسك – أيها الإنسان– بمراجعة الأغيار. ولا تتذلل لهم، فترزح تحت منتهم وأذاهم.. ولا تحني رأسك أمامهم وتتملق لهم.. ولا ترهق نفسك فتلهث وراءهم.. ولا تخف منهم وترتعد إزاءهم.. لأن سلطان الكون واحد، وعنده مفاتيح كل شئ، بيده مقود كل شئ، تنحل عقد كل شيء بأمره، وتنفرج كل شدة بإذنه.. فان وجدته فقد ملكت كل شئ، وفزت بما تطلبه، ونجوت من أثقال المن والأذى ومن أسر الخوف والوهم. **(المكتوبات، المكتوب ٢٠)**

* لا يجوز بحث المسائل الإيمانية الدقيقة -كالمذكورة- بشكل مناقشات جدلية من دون ميزان، ولا أمام جماعة من الناس، إذ تتحول الأدوية عندئذٍ إلى سموم، لأنها دون ميزان، فتضر المتكلمين والمستمعين معاً. وإنما يجوز ذلك عند فراغ البال وسكون القلب وتوفّر الإنصاف عند الباحثين، وتداولاً فكرياً ليس إلاّ. **(المكتوبات ، المكتوب١٢)**.

* إن نفساً تصغي إلى الشيطان لا ترغب في أن تنظر إلى تقصيرها وعيوبها، حتى إذا رأتها فإنها تؤوّلها بتأويلات عديدة. فتنظر إلى ذاتها وأعمالها بعين الرضا، كما قال الشاعر: ((وعينُ الرضا عن كل عيبٍ كليلةٌ ...)) **(اللمعات، اللمعة١٣)**

* أيها المساكين! لا تقولوا عندما تغادرون الدنيا إلى المقبرة: ((أواه.. وا أسفاه.. واحسرتاه، لقد ذهبت أموالنا هباءً، وضاع سعينا هدراً، فدخلنا ضيق القبر بعد فسحة الدنيا!..

لا.. لا تصرخوا يائسين، لأن كل ما لديكم محفوظ عنده سبحانه، وكل ما قدمتموه من عمل وجهد قد سجل ودوّن عنده، فلا شئ يضيع ولا جهد ينسى، لأن ذا الجلال الذي بيده الخير كله سيثيبكم على أعمالكم، وسيدعوكم للمثول أمامه بعد أن يضعكم في التراب.. مثواكم الموقت. **(المكتوبات، المكتوب٢٠)**

* إن ارتكاب السيئات والآثام سهل ويسير ووسائلها كثيرة.. فينبغي إذن التعامل في هذه الدنيا والقياس بمثل ميزان العدل الإلهي، فان كانت حسناتُ شخصٍ اكثر من سيئاته كميةً أو نوعيةً فانه يستحق المحبة والاحترام. وربما يُنظر إلى كثير من سيئاته بعين العفو والمغفرة والتجاوز لحسنة واحدة ذات نوعية خاصة. **(اللمعات، اللمعة١٣)**

* يجب ألاّ يُنظر إلى الأستاذ أو المرشد على أنه المنبع أو المصدر بل ينبغي اعتباره والنظر إليه على أنه مَعكَس ومظهرٌ فحسب. كالمرآة التي تعكس إليك حرارة الشمس وضوءها، فمن البلاهة أن تتلقى المرآة كأنها مصدرٌ لهما فتنسى الشمس نفسها، ومن ثم تُولي اهتمامك ورضاك إلى المرآة بدلاً عن الشمس!.

نعم، انه لابد من الحفاظ على المرآة لأنها مَظهرٌ يظهر تلك الصفات. فروح المرشد وقلبه مرآةٌ، تصبح مَعكَساً للفيوضات الربانية التي يفيضها الحق سبحانه عليها، فيصبح المرشد وسيلة لانعكاس تلك الفيوضات إلى مريده.. **(اللمعات، اللمعة١٧)**.

* لا يلزم أن تكون كلُّ وسيلةٍ من وسائل كل حقٍّ حقاً، كما لا يلزم أيضاً أن تكون كلُّ وسيلةٍ من وسائل كلِّ باطلٍ باطلاً.

فالنتيجة إذن: أن وسيلةً حقة (ولو كانت في باطل) غالبةٌ على وسيلةٍ باطلة (ولو كانت في الحق).

وعليه يكون: حقٌ مغلوب لباطـل، مغلـوبٌ بوسـيلته الباطلـة، أي مغلوبٌ موقتاً، وإلاّ فليس مغلوباً بذاته، وليس دائماً، لأن عاقبة الأمـور تصير للحق دوماً.

* بينما يجب أن تكون كلُّ صفةٍ من صفات المسلم مسلمةً مثلـه، إلا أن هذا ليس أمراً واقعاً، ولا دائماً!

ومثله، لا يلزم أيضاً أن تكون صفات الكافر جميعها كافرةً ولا نابعةً من كفره.

وكذا الأمر في صفات الفاسق، لا يشترط أن تكون جميعُهـا فاسـقة، ولا ناشئة من فسقه.

إذن، صفةٌ مسلمةٌ يتصف بها كافرٌ تتغلب على صـفةٍ غـير مـشروعة لدى المسلم. وبهذه الوساطة (والوسيلة الحقة) يكون ذلك الكافر غالبـاً على ذلك المسلم (الذي يحمل صفة غير مشروعة). **(الكلمات، لمعات)**.

* إن الغيبة سلاح دنئ يستعمله المتخاصمون والحسّاد والمعاندون؛ لأن صاحب النفس العزيزة تأبى عليه نفسه أن يستعمل سـلاحاً حقـيراً كهذا. **(المكتوبات، المكتوب ٢٢)**

* أن كل من يجعل الحياة الفانية مبتغـاه فـسيكون في جهـنم حقيقـةً ومعنىً، حتى لو كان يتقلب ظاهراً في بحبوحة النعيم. وان كل من كـان

متوجهاً إلى الحياة الباقية ويسعى لها بجد وإخلاص فهو فائز بسعادة الدارين وأهل لهما معاً حتى لو كانت دنياه سيئة وضيقة، إلا أنه سيراها حلوة طيبة، وسيراها قاعة انتظار لجنته، فيتحملها ويشكر ربه فيها وهو يخوض غمار الصبر. (**الكلمات، الكلمة٨**)

* إن ذرة من عمل خالص أفضل عند الله من أطنانٍ من الأعمال المشوبة. (**اللمعات، اللمعة١٧**).

* إن الاقتران شيءٌ والعلة شيء آخر. فالنعمة التي تأتيك وقد اقترنت بنيّة إحسان من أحدهم إليك، علّتها الرحمة الإلهية. وليس لذاك الشخص إلاّ الاقتران دون العلة. (**اللمعات، اللمعة١٧**)

* إن غاية امتثالُ أمر الله ونيلُ رضاه، فالداعي إلى العبادة هو الأمر الإلهي، ونتيجتها نيلُ رضاه سبحانه. أما ثمرتها وفوائدها فأخروية. إلاّ انه لا تنافي العبادة إذا مُنحت ثمراتٌ تعود فائدتها إلى الدنيا، بشرط ألاّ تكون علّتها الغائية، وألاّ يُقصد في طلبها. فالفوائد التي تعود إلى الدنيا والثمرات التي تترتب عليها من نفسها وتمنح من دون طلب لا تنافي العبادة، بل تكون بمثابة حث ((وترجيح)) للضعفاء. (**اللمعات، اللمعة١٧**)

* إن القرآن لأنه كتابُ ذكرٍ، وكتابُ دعـاء وكتـابُ دعـوةٍ، يكـون تكرارُه أحسن وأبلغ بل ألزم. اذ الذكر يُكرَّر، والدعاء يُـردَّد، والـدعوةُ تُؤكَّد. **(المثنوي العربي النوري ، رشحات)**

* إن أهم سبب لكسب الإخلاص وأعظم وسيلة مؤثرة للمحافظة عليه هو: "رابطة المـوت". والـسبب الثـاني في إحـراز الإخـلاص هـو التأمل الإيماني في المخلوقات. **(اللمعات، اللمعة٢١)**

* عليك أن تقول الحق في كل ما تقول، ولكن لـيس لـك ان تـذيع كل الحقائق. وعليك أن تصدق في كل ما تتكلمه، ولكن ليس صواباً ان تقول كل صدق . **(المكتوبات ، المكتوب٢٢)**

* كمال النفس في معرفة عدم كمالها، وقـدرتها في عجزهـا أمـام الله، وغناها في فقرها إليه . **(الكلمات، الكلمة٢٦)**

* ما دام العمل لوجه الله وفي سبيله فلا يُنظر إلى صـغره وكـبره ولا إلى سموه وتفاهته، فالذرة في سبيل رضاه سبحانه مع الإخلاص تصبح نجمة متلألئة. **(اللمعات، اللمعة ٢٠)**

* العمل الايجابي البنّاء، وعـو عمـل المـرء بمقتـضى محبتـه لمسلكه فحسب، من دون ان يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخـرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلاً. **(اللمعات، اللمعة٢٠)**

* إن اللـذات والأذواقَ التـي يحـصل عليهـا الإنـسانُ عـن طريـق السعي الحلال ضمن الدائرة المشروعة كافيةٌ لسعادته وهنائه وراحته فلا يدع مجالاً للدخول في الحرام. (**الكلمات، الكلمة٢٣**)

* ان رأس مـال العمـر قليـل، ورحلـة العمـر هنـا قـصيرة، بيـنما الواجبات الـضرورية والمهـمات التـي كُلّفنـا القيـام بهـا كثـيرة، وهـذه الواجبات هي كالدوائر المتداخلة المتحدة المركز حول الإنسان:

فابتداء من دائرة القلب والمعدة والجسد والبيـت والمحلـة والمدينـة والبلاد والكرة الأرضية والبشرية وانتهاء إلى دائرة الأحياء قاطبة والعالم اجمع كلها دوائر متداخلة بعضها في البعض الآخر، فكل إنسان لـه نـوع من الوظيفة في كل دائرة مـن تلـك الـدوائر. ولكـن اعظـم الواجبـات وأهمها، بل أدومها بالنسبة له هي في اصغر تلك الـدوائر وأقربهـا إليـه، بينما اصغر الواجبات واقلها شأناً ودوامـاً هـي في اعظـم تلـك الـدوائر وأبعدها عنه. فقياساً على هذا: يمكن أن تتناسب الوظائف والواجبـات تناسباً عكسياً مع سعة الـدائرة، اي كلـما صـغرت الـدائرة -وقربـت- عَظمـت الوظيفـة، وكلـما كـبرت الـدائرة - وبَعُـدت - قلـت أهميـة الوظيفة.. ولكن لما كانت الدائرة العظمـى فاتنـة جذابـة، فهـي تـشغل الإنسان بأمور غير ضرورية له، وتصرف فكره إلى أعمال لا تعنيه بشيء، حتى تجعله يهمل واجباته الضرورية في الـدائرة الـصغيرة القريبـة منـه،

فيهدر – عندئذ – راس مال عمره، ويضيّع حياته سدى. (**الشعاعات، الشعاع١١**)

* إن كل شيء في الكون ينطوي على خير، وفيه جمالٌ وحُسن، أما الشر والقبح فهما جزئيان جداً، وهما بحُكم وحدتين قياسيتين، أي انهما وُجدا لإظهار ما في الخير وما في الجمال من مراتب كثيرة وحقائق عديدة؛ لذا يُعَدُّ الشر خيراً والقبح حُسناً من هذه الزاوية. اي من زاوية كونهما وسائل لإبراز المراتب والحقائق. (**اللمعات، اللمعة٣٠**)

* إن الذي زيّن هذه الدنيا بأنواع ألطافه التي لاتحد وبأشكال آلائه التي لا تُعد مُظهراً بها ربوبيته الكريمة الرؤوف، حفيظاً حتى على الأشياء الصغيرة الجزئية جداً – كالبذور مثلاً – ذلك الصانع الكريم الرحيم، لابد -بل بالبداهة- لا يُفني هذا الإنسان الذي هو أكمل مخلوقاته وأكرمها وأجمعها وأهمّها وأحبها إليه، ولا يمحوه بالفناء والإعدام النهائي، بلا رحمة وبلا عاقبة – كما يبدو ظاهراً – ولا يضيّعه أبداً.. بل يضع الخالق الرحيم ذلك المخلوق المحبوب تحت التراب الذي هو باب الرحمة موقتاً، كي يعطي ثماره في حياة أخرى، كما يبذر الفلاح البذور على الأرض. (**اللمعات، اللمعة٢٦**)

* المصلحة المرجحة المحققة لا تضحّى لأجل مضرّة موهومة. (**صيقل الإسلام ، ص٣٥٤**)

❋ إن ازدياد قوة الإيمان ولو بمقدار ذرة هو أثمن من أطنان من كسب المعارف والكمالات، بل هو ألذ وأطيب مائة مرة من حلاوة الأذواق والوجد. **(الشعاعات، الشعاع٧)**

❋ إن في كل حادثة يد الإنسان ويد القدر معاً، ولكن الإنسان يظلم حيث ينظر إلى السبب الظاهري، بينما القدر يعدل لأنه يرى السبب الخفي لتلك المصيبة. **(الملاحق، ملحق قسطموني)**

❋ إن الإنسان تتحكم فيه النفس والهوى والوهم والشيطان وتستغل غفلته وتحتال عليه لتضيق الخناق على إيمانه، حتى تسد عليه منافذ النور الإيماني بنثر الشبهات والأوهام. فضلاً عن انه لا يخلو عالم الإنسان من كلمات وأعمال منافية لظاهر الشريعة، بل تعد لدى قسم من الأئمة في درجة الكفر.لذا فهناك حاجة إلى تجديد الإيمان في كل وقت، بل في كل ساعة، في كل يوم. **(المكتوبات، المكتوب٢٦)**

❋ إن اتباع السنة النبوية المطهرة هو اجمل وألمع طريق موصلة إلى مرتبة الولاية من بين جميع الطرق، بل أقومها وأغناها. والاتباع يعني: تحري المسلم السنة السنية وتقليدها في جميع تصرفاته وأعماله، والاستهداء بالأحكام الشرعية في جميع معاملاته وأفعاله. فإن أعماله اليومية ومعاملاته العرفية وتصرفاته الفطرية الاعتيادية تأخذ بهذا الاتباع شكل العبادة . **(المكتوبات، المكتوب٢٩)**

* إن البـذرة والزهـرة والثمـرة..أبـدع معجـزات القـدرة الإلهيـة وأعجبها وألطفها، ولمّا عجز أهل الضلالة والطبيعة والفلسفة المادية من قراءة ما خطّه قلم القدر والقدرة فيها من الكتابة الدقيقة،تاهوا وغرقـوا فيها ،وسقطوا في مستنقع الطبيعة الآسن . **(الكلمات، الكلمة ١٠)**

* هذه اللقاءات المدّرة بالزوال غير جديرة باللهفـة بـل لا يـستحق شوقاً: وصال يعقبه الزوال مؤلم، هذه اللقـاءات المكـدرة بـالزوال غـير جديرة باللهفة، بل لا يستحق شوقاً وصال يعقبه فراق؛ لان زوال اللذة مثلما هو ألم فان تصور زوال اللذة كذلك ألم مثله، فدواوين جميع شـعراء الغزل والنسيب -وهم عـشاق مجـازيون- وجميـع قـصائدهم إنـما هـي صراخات تنطلق من آلام تنجم من تـصور الـزوال هـذا، حتـى إذا مـا استعصرتَ روح ديوان أيٍ منهم فلا تراها الاّ وتقطر صراخاً أليماً ناشـئاً من تصور الزوال. **(الكلمات، الكلمة ١٧)**

* نعم، لما كانت الدنيا هي دار "الحكمة" والـدار الآخـرة هـي دار "القدرة" فإن إيجاد الأشـياء في الـدنيا صـار بـشيء مـن التـدريج ومـع الزمن. بمقتضى الحكمة الربانية وبموجب اغلب الأسماء الحسنى أمثال "الحكيم، المرتّب، المدبر، المربي". **(الشعاعات، الشعاع٢)**

* كما ان صورة الحيّـة في المـرآة لا تلـدغ، وانعكـاس النـار فيهـا لا يحرق، وظل النجس فيها لا ينجس، كذلك ما ينعكس على مرآة الخيـال

أو الفكر من صورِ الكفر والشرك، وظلال الضلالة، وخيالات الكلمات النابية والشتم، لا تفسد العقيدة واليقين ولا تغير الإيمان، ولا تثلم أدب التوقير والاحترام. ذلك لأنه من القواعد المقررة: ((تخيل الشتم ليس شتماً، وتخيل الكفر ليس كفراً، وتصوّرَ الضلالة ليس ضلالةً)). **(اللمعات، اللمعة١٣)**

* أيها الإنسان! تأمل واعتبر واعلم انك إن لم تمت عاجلاً فلا مناص من أن تصير شيخاً عجوزاً فان لم تحترم والديك فسيأتي عليك يوم لا يوقرك أولادك ولن يحترموك وذلك بما أودع الله من سر في: "الجزاء من جنس العمل"لذا إن كنت محباً لآخرتك فدونك كن-ز عظيم ألا وهو: اخدمهما ونل رضاهما وإن كنت تحب الدنيا فارضهما كذلك واشكر لهما حتى تمضي حياتك براحة وحتى يأتي رزقك ببركة من ورائهم. وإلاّ فان استثقال هؤلاء وتمني موتهم وتجريح قلوبهم الرقيقة الحساسة يجعلك ممن تنطبق عليه حقيقة الآية الكريمة: "خسر الدنيا والآخرة". وإذا كنت تريد رحمة الرحمن الرحيم فارحمهما؛ فارحم ودائع ذلك الرحمن وما استودعك في بيتك من أمانات. **(المكتوبات، المكتوب٢١)**

*إن من لا يقتصد مدعو للسقوط في مهاوي الذلة ومعرّض للانزلاق إلى الاستجداء والهوان معنىً.**(اللمعات،اللمعة١٩)**

* نحــن مكلفــون بحــسن الظــن. (**الــسيرة الذاتيــة ، اوراق مــن الذكريات**)

* الزكاة باب عظيم تفيض منه البَركة والغنى على كل فرد، وتـدفع عنه البلايا والمصائب. فالذين لا يؤدون زكاة أموالهم لا محالـة يفقـدون أموالاً بقدرها ويبددونها إما في أمور تافهة لا طائل وراءها، أو تلمُّ بهـم مصائب تنتزعها منهم انتزاعاً. (**المكتوبات، المكتوب٢٢**)

* نعم! يا أخوتي كما أن ناراً صغيرة بل حقـيرة -كعـود الكبريـت- تحرق غابة عظيمة كثيفة تدريجياً وتجعلها أثراً بعد عين، كذلك النظرة إلى النساء تحرق عمل المؤمن اليومي شيئاً فشيئاً.. وأخشى أن تكون عاقبتـه وخيمة. (**السيرة الذاتية، أوراق من الذكريات**).

* إخواني، إن وظيفتنا هي خدمة الإيمان والقرآن الكريم بـإخلاص تام. أما توفيقنا ونجاحنا في العمل وإقبال الناس إلينا ودفـع المعارضـين عنا، فهو موكـول إلى الله سـبحانه، فـنحن لا نتـدخل في هـذه الأمـور. وحتى لو غُلبنا فلا ينقصنا هذا شيئاً من قوتنـا المعنويـة ولا يقعـدنا عـن خدمتنا، فعلينا بالثقة والاطمئنان والقناعـة انطلاقـاً مـن هـذه النقطـة. (**السيرة الذاتية، أوراق من الذكريات**).

* إن مجابهة أعداء الإسلام والتصدي لهم أو حتى النقاش معهـم لا يكون إلا بقراءة رسائل النور. فالرسـالة الواحـدة تقابـل آلاف الخطـط

الخفية ضد الإسلام حيث إنها تخاطب جميع الطبقات ابتـداءً مـن الأمـي وانتهاءً إلى الفيلسوف.

فالحقائق التي فهمتموها مـن الأمثلـة التـي تـسوقها رسـائل النـور تكفيكم كالذي يدخل بستاناً مزدهراً بالتفاح يكفيه ما تـصل إليـه يـده. أما الذي لاتصل إليه يده فذلك حصة طويلي القامة فالذي لا يـستوعب رسائل النور عليه ألاّ ييأس من عدم فهمها فإنني أيضا محتاج إلى رسائل النور مثلكم فكلما أقرأها مرّة بعد مرة آخذ قسطاً من درسي وافهم أكثر. فان كنت أنت ممن تشم رائحتها فحسب يكفيك ذلك فاقنع بهذا واشكر عليه.. **(السيرة الذاتية ، أوراق من الذكريات)**

* أخي ليس هناك إنسان لا يفـتح الله قلبـه للإسـلام فعـلى الـذين يعملون في خدمة الإسلام أن يكونوا نابهين واعـين.وان الإنـسان يـشبه قصراً ذا مئة باب ولابدّ ان هناك باباً يدخل منه إلى ذلك القصر ثم تفـتح الأبواب كلها.

بيد أن منافقي آسيا وزنادقة أوروبا منذ ألـف سـنه يعملـون بـالمكر والدسائس حتى اعموا عيون أبناء هذا الوطن وحجـروا عـلى عقـولهم فسدّوا تسعا وتسعين باباً أمام الإسلام إلاّ باب الفطرة فهو مفتوح عـلى مصراعيه دائماً. فالمؤمن بفراسته يمكنه أن يكشف الباب المفتوح، وعنـد الـدخول مـن هـذا البـاب للإسـلام سـوف تفـتح الأبـواب المسدودة

الأخرى لأجل الإسلام. فإذا ما غذي الإنسان بموازين رسائل النور الملائمة لفطرته ولم يستعجل الأمور واخذ بالإخلاص وتمسك به فسينشرح بإذن الله قلب الشخص المقابل للإسلام. أما إذا ما بنى الإنسان عمله على الاستعجال ومناقشة الأمور الجانبية واتهام الشخص المقابل؛ فهذا يعني انه يتوجه إلى الأبواب المسدودة فيتسبب في غلق الباب المفتوح كذلك.إن رسائل النور تهتم بالمحاكمات العقلية واخذ الأمور بالمسلمات المنطقية والفطرية ثم تأخذ بيد القارئ إلى دائرة الإسلام الفسيحة. **(السيرة الذاتية ، أوراق من الذكريات)**

* أخي! إن الكمية دائماً تخدع الإنسان ولكن الأهم هو النوعية، فلئن أصبحت وسيلة لتعريف رسائل النور إلى شخصين اثنين يبحثان بفطرتهما عن رسائل النور وكنت أنت سبباً لإنقاذ إيمانهما؛ فقد أنجزت وظيفتك طوال حياتك الدراسية.فالإخلاص ليس في الكمية بل في النوعية وهذه هي الخدمة القرآنية.. **(السيرة الذاتية ، أوراق من الذكريات)**

* اجعل حبك للدنيا وما فيها من مخلوقات بالمعنى (الحرفي) وليس بالمعنى (الاسمي) اي لمعنى ما فيها وليس لذاتها. ولا تقل لشيء: (ما اجمل هذا) بل قل: (ما أجمله خلقاً) أو (ما اجمل خلقه)! وإياك أن تترك ثغرة يدخل منها حبٌ لغير الله في باطن قلبك، فان باطنه مرآة الصمد،

وخاص به سبحانه وتعالى. وقل: اللّهم ارزقنا حبك وحب ما يقرّبنا إليك. (**الكلمات، الكلمة ٣٢**)

* نتصادم الآراء ومناقشة الأفكار لأجل الحق وفي سبيل الوصول إلى الحقيقة إنما يكون عند اختلاف الوسائل مع ا لاتفاق في الأسس والغايات، فهذا النوع من الاختلاف يستطيع أن يقدم خدمة جليلة في الكشف عن الحقيقة وإظهار كل زاوية من زواياها بأجلى صور الوضوح. ولكن إن كانت المناقشة والبحث عن الحقيقة لأجل أغراض شخصية وللتسلط والاستعلاء وإشباع شهوات نفوس فرعونية ونيل الشهرة وحب الظهور، فلا تتلمع بارقة الحقيقة في هذا النوع من بسط الأفكار، بل تتولد شرارة الفتن. (**المكتوبات، المكتوب٢٢**)

* إن في سوء الظن وسوء التأويل جزاء معجلاً في هذه الدنيا. حتى غدت ((مَن دقّ دُقّ)) قاعدة مطردة. فالذي يسيء الظن بالناس يتعرض حتماً لسوء ظنهم. والذي يؤول تصرفات إخوانه المؤمنين تأويلاً سيئاً، لا محالة سيتعرض للجزاء نفسه في وقت قريب. (**اللمعات، اللمعة٢٢**)

* إن سعيداً لم يتراجع قط عن التضحية برأسه في سبيل دعوة الحق بل ضحّى بكل ما لديه لرسائل النور.إن رسائل النور تريد طلاباً يفدون بكل شيء في سبيل إعلاء كلمة الله.. (**السيرة الذاتية، أوراق من الذكريات**)

* إن أسمى مقصد للإنسان وأعلاه هو أن يكون أهـلا لمحبـة الله ! **(اللمعات، اللمعة١١)**

* التلميذ المخلص للفلسفة ((فرعـون)) ولكنـه فرعـون ذليـل، إذ يعبد أخس شئ لأجل منفعته، ويتخذ كل ما ينفعه رباً له.. بيـنما تلميـذ القرآن المخلص هو ((عبد)) ولكنه عبـد عزيـز لا يـستذل لـشيء حتـى لأعظم مخلوق، ولا يـرضى حتـى بالجنـة، تلـك النعمـة العظمـى غايـة لعبوديته لله. **(الكلمات، الكلمة١٢)**

* السجن مدرسة يوسفية. **(اللمعات،اللمعة٢٦)**

* إن دقيقة واحدة في الكفر الذي هو إنكار لألف اسـم واسـم مـن الأسـماء الحـسنى وتزييـف لنقوشـها البديعـة.. واعتـداء عـلى حقـوق الكائنات.. وإنكار لكمالاتها.. وتكذيب لدلائل الوحدانية التـي لا يحـد وردّ لشهاداتها .. تلقي بالكافر في اسفل سافلين لأكثـر مـن ألـف سـنة، فتسجنه في قوله تعالى﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ (الأحزاب:٦٥). **(اللمعـات، اللمعة٢٨)**

* تهافتُ البلايا وتسلطُ الشرور والأشياء المضرة هـو وقـتُ بعـض الأدعية الخاصة، حيث يدرك الإنسانُ حينئذٍ عجزَه وفقرَه فيلوذ بالدعاء والتضرع إلى باب القدير المطلق. **(الكلمات، الكلمة٢٣)**

* العقل المبتلى بمظاهر الدنيا ولا يملك إلا معارف آفاقية خارجية، تجره سلسلة أفكاره إلى حيث العدم والى غير شئ. فتراه يضطرب من حيرته ويرتعد من هول الموقف فيصرخ يائساً جزعاً، باحثاً عن مخرج من هذا المأزق ليبلغه طريقاً سوياً يوصله إلى الحقيقة. **(الكلمات، الكلمة ١٧)**

* إنه لا يقلقني سوى المخاطر المحدقة بالإسلام . إذ كانت المخاطر سابقا تأتى من الخارج وكانت مقاومتها يسيرة . أما الآن فإنها تأتي من الداخل حيث دبت الديدان في الجسد وانتشرت فيه فتعسرت المقاومة. إنني أخشى ما أخشاه ألاّ تتحمل بنية المجتمع هذا الداء الوبيل، لأنه لا يشتبه بالعدو. إذ يظن من يقطع شريانه ويمص دمه صديقاً. ومتى عميت بصيرة المجتمع إلى هذا الحد فقلعة الإيمان إذن في خطر داهم. لذا لا قلق لي إلا هذا ولا اضطرب إلا من هذا . بل ليس عندي زمن أضيعه في التفكير في التعب والمشاق التي أتعرض لها بنفسي. وليتني أتعرض لألف ضعف من شقائي ويسلم مستقبل قلعة الإيمان. **(السيرة الذاتية، ص ٤٥٦)**

* لقد تحملت آلامي الشخصية كلها ،ولكن آلام الأمة الإسلامية سحقتني، إنني اشعر بان الطعنات التي وجهت إلى العالم الإسلامي،

إنها توجه إلى قلبي أولاً. ولهذا ترونني مسحوق الفؤاد. ولكني أرى نوراً سينسينا هذه الآلام إن شاء الله.(**صيقل الإسلام ، ص٥٤٦**)

* إن الإيمان يقيم دائماً في القلب والعقل حارساً معنوياً أميناً، لذا كلما صدرت ميول فاسدة عن تطلعات النفس والنوازع والأحاسيس المادية قال لها ذلك الحارس الرادع : محظور .. ممنوع .. فيطردها ويهزمها. (**صيقل الإسلام ، ص٥٢٣**)

* هناك ستة أمراض، جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى في الوقت الذي طار فيه الأجانب –وخاصة الأوربيين– نحو المستقبل. وتلك الأمراض هي :

١- حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبعثه .

٢- موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

٣- حب العداوة.

٤- الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

٥- سريان الاستبداد، سريان الأمراض المعدية المتنوعة.

٦- حصر الهمة في المنفعة الشخصية .(**صيقل الإسلام ، ص٤٩١**)

* ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين، وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية. (**صيقل الإسلام ، ص٤٢٨**)

❋ إن مذهبي هو إبداء الحب للمحبة، وإظهار الخصام للعداء ،أي أن احب شيء إليّ في الدنيا هي المحبة، وابغض شيء عندي هو الخصام والعداء.. (**صيقل الإسلام ، ص٤٢٣**)

❋ اروني مفسدا يقول : أنا مفسد ،وما هو إلاّ مفسد إلا أنه يتراءى في صورة الحق، أو يرى الباطل حقا ،نعم ما من أحد يقول : مخيضي حامض .. فلا تأخذوا شيئا إلاّ بعد إمراره على المحك، لأن أقوالا مغشوشة مزيفة قد كثرت في تجارة الأفكار .. حتى كلامي أنا لا تأخذوه على علاّته – بحسن ظنكم – لأنه صادر عني فقد أكون مفسداً أو افسد من حيث لا اشعر، فعلى هذا تيقظوا ! ولا تفتحوا الطريق إلى القلب لكل طارق. فليظل ما أقوله لكم في يد خيالكم ،واعرضوه على المحك ،فإن ظهر انه ذهب فأرسلوه إلى القلب، واحفظوه هناك، وان ظهر انه نحاس، فاحملوا على عاتق ذلك الكلام المنحوس كثيراً من الغيبة وشيعوه بسوء الدعاء علي وردوه خائباً إلي . (**صيقل الإسلام ، ص٣٩٠**)

❋ إن الذي يحجب ظهور الحقيقة : الرغبة في المعارضة .. والتزام جانب المعارض .. وإعذار المرء نفسه – بالتزامه لها– وإرجاع أوهامه إلى اصل موثوق .. وتتبع الهفوات والعيوب .. والتحجج بحجج واهية صبيانية .. وأمثالها من الأمور . (**صيقل الإسلام ، ص١٢٠**)

* إن الحق سينمو، نمو البذرة النابتة، وان تسترت تحت التراب . وان أهله سينتصرون وإن كانوا قلة وضعفاء بظلم الأحوال . (**صيقل الإسلام ، ص٢٣**)

* إن المسلم يختلف عن أفراد الأمم الأخرى، إذ لو تخلى عن دينه فلا يكون إلا إرهابيا فوضويا لا يقيده شيء أيا كان، بل لا يمكن إدارته بأي من وسائل التربية والإدارة إلا بالاستبداد المطلق والرشوة العامة . (**الملاحق، ص٣٠٦**)

* إن هناك تيارات قوية تجعل أهل الإيمان في حيرة من أمرهم حيث تبدل الشعائر الإسلامية، ويشن هجوم عنيف على القرآن والإيمان، لذا لا ينبغي فتح باب المناقشة في الأمور الفرعية الجزئية التي تسبب الاختلاف إزاء هذا العدو اللدود . (**الملاحق، ص٢٩٦**)

* إن حقيقة خالدة دائمة لا تبنى على أشخاص فانين زائلين . ولو بنيت عليهم لنجم ظلم وإجحاف شديدان إذ المهمة التي لها الدوام والكمال من كل جانب لا تربط بأشخاص معرضين للفناء، ومبتلين بالإهانات . فان ربط الأمر بهم، تصاب المهمة نفسها بضرر بالغ. (**الملاحق، ص٢٦٤**)

* إن الذين اتخذوا السياسة هدفا لهم يأتي الدين لديهم في المرتبة الثانية ويكون حكمه حكم التابع . أما المتدين حق التدين فيرى

العبودية لله تعالى أعظم غايته في الكون، فلا ينظر إلى السياسة نظر العاشق الولهان، بل ينظر إليها – حسب مرحلتها – في المرتبة الثانية والثالثة ويستطيع أن يجعلها أداة طيعة للدين والحقيقة . إذ بخلافه يهون من قيمة الألماس الثمينة إلى قطع زجاجية تافهة . (**الملاحق، ص٢٥٩**)

❋ فانتم يا اخوتي محتاجون ومكلفون في هذه العواصف الهوج اكثر من أي وقت آخر بالحفاظ على ترابطكم واتحادكم وغض النظر عن تقصيرات إخوانكم وعدم نشر الانتقاد فيما بينكم . حذار حذار أن يمتعض أحدكم من الآخر .. فلا ينتقدن أحدكم الآخر .. وبخلاف ذلك فإن إظهاركم ولو قليلاً من ضعف يستغله أهل النفاق فيلحقون بكم أضراراً بليغة . (**الملاحق، ص٢٠٦**)

❋ في مثل هذه الأوقات العصيبة، وأمام هذه الأحداث الجسام فان اعظم قوة لدينا –بعد قوة الإخلاص– هي قوة " الاشتراك في الأعمال الأخروية " إذ يكتب كل منكم في دفتر أعمال اخوته حسنات كثيرة مثلما يرسل بلسانه الإمداد والعون إلى قلعة التقوى وخنادقها . (**الملاحق، ص١٧٠**)

❋ فيا اخوتي الأحبة ! الثبات الثبات ،الوفاء الوفاء .. إن طريقنا في السمو والرقي هو الغلو في الارتباط والتساند فيما بيننا والسعي لنيل

الإخلاص والاخوة الحقة، بدلاً من الغلو في حسن الظـن والتطلـع إلى مقامات أعلى من حدنا . **(الملاحق، ص١٣٥)**

❊ إن خاصية هذا العصر العجيبة هـي غلـو المسلمين في الـسذاجة وتسامحهم وتجاوزهم عن خطيئات جنـاة رهيبـين، إذ لـو رأى أحـدهم حسنة واحدة من شخص ارتكب ألوف السيئات وتعـدى عـلى حقـوق ألوف العباد، سواء على حقـوقهم المعنويـة أو الماديـة، ينحـاز إلى ذلـك الظالم لأجل تلك الحسنة الواحدة . وبهذه الصورة يشكل أهل الـضلالة والطغيان الأكثرية العظمى من الناس رغم انهم قلة قليلة جـداً، وذلـك لموالاة أولئك السذج لهم . ولأجله ينزل القـدر الإلهـي المـصيبة العامـة التي تترتب وتنبني على خطا الأكثرية . بـل إن عملهـم هـذا يعـين عـلى دوام المصيبة واستمرارها ، بل على شدتها . حتى يقولوا هـم بأنفـسهم : نعم نحن نستحق هذه المصيبة . **(الملاحق، ص١١٦)**

❊ إن مثلك وقد تصيب رأسك المـصائب المرمـاة "بالقـدر" كمثـل أغنام مرسلة في المرعى، يراهـا الراعـي قـد تجـاوزت فيرمـي الأحجـار خلفها لترجع، فيقول المـصاب رأسـه بلـسان الحـال: نحـن تحـت أمـر الراعي، وهو اعرف بنا منـا فلنرجـع . فيرجـع . فيرجعـون . **(المثنـوي العربي النوري، ص٢٢٣)**

❋ اعلم : إني شاهدت في سيري في الظلمات ،السنن السنية نجوماً ومصابيح، كل سنة وكل حد شرعي يتلمع بين ما لا يحصر من الطرق المظلمة المضلة وبالانحراف عن السنة يصير المرء لعبة الشياطين ومركب الأوهام ومعرض الأهوال ومطية الأثقال – أمثال الجبال – التي تحملها السنة عنه لو اتبعها . (**المثنوي العربي النوري، ص١٦٥**)

❋ إن الحجر مع حجريته إذا خرج من يد المعقد الباني في السقف المحدب يميل ويخضع رأسه ليماس رأس أخيه ليتماسكا عن السقوط . فالإنسان الذي لا يدرك سر التعاون لهو اجمد من الحجر ، إذ من الحجر من يتقوس لمعاونة أخيه .(**إشارات الإعجاز ،ص ٤٩**)

وهنا **قال** صاحبي وهو مبهوت ومبهور، بعد ما سمع كل هذه القواعد العظيمة والأصول الحكيمة من الموازين والمعايير لفهم حقائق الدين العظيم بأركانه الحادي عشر للإيمان والإسلام وأردفه بالثاني عشر للإحسان:

حقاً إن هذا الرجل الصالح علاّمة كبير ومجاهد قدير وفقيه جسور لا أظن أن مثله يظهر في سوح الحياة إلاّ مرة في كل ثلاثة أو أربعة قرون، يظهر للوجود في عالم المسلمين خاصة كأخلص وأنجب تلاميذ مدرسة القرآن الكريم ومدرسة السنة النبوية الشريفة!

قلت – وأنا أكاد اخفي إعجابي لما توصل إليه مـن نتيجـة صـحيحة باهرة –: لقد عرفـت الآن فـالزم، واتبـع عملـك بعلمـك وتـصديقك بتصورك وحالك بيقينك وعندها فقط أقول لك أنت الأفقه وإنك أنت الأعلى!

قال: والحق إنني بدأت منذ اللحظة أفكر بجد وعزم فلقد أثرت فيّ دوافع الوعي والشوق، ولا أكتمك سراً إذا قلت: سأبدأ من هذا اليوم بقراءة الرسائل هذه ودراستها دراسة وافية داعية لعلي ابلغ آفـاق تلـك المعـاني والحقـائق والأسـرار والعجائـب والتـصورات والانطباعـات والأذواق والمواجيـد أو أكثـر إن شـاء الله. فلكـم فـي هذا الأمر من متسع ومجال؟!

قلـت: أحـسنت. نعـم إنـشاء الله، ومـا تـشاءون إلا أن يـشاء الله. بارك الله فيك وأعانك على فهمها الصحيح والذوق السليم والعمل السديد وما ذلك على ربنا الرحمن بعزيز.

الكلمة الختامية الأخيرة

بطاقة دعوة لجماهير البشرية على هذا الكوكب العظيم، أبعثها خطاباً أخوياً مخلصاً من على منبر جامعة زهراء رسائل النور:

وفي ختام هذا الحوار الإعلامي البحت اهمس في آذان القارئين والقارئات والسامعين والسامعات معاً من طلاب الحق وباحثيه وبكل رفق وجد عسى أن يقدروا ندائي المبرأ من أيّما شائبة من شوائب الدنيا ومن أيّما غرض من أغراض المصالح الشخصية إلاّ ابتغاء وجه ربي سبحانه وتعالى فأقول وكلّي دعاء ورجاء أن يسمعوني ويصغوا إلي لحظة ثم ليقولوا ما شاءوا وليفعلوا ما شاءوا فلقد خلقهم ربهم مكرمين وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً:

نعم أيها الناس. يا عباد الله في كل مكان! يا أميون ويا أنصاف الأميين. يا أيها المتخرجون من مؤسسات علوم الحضارة الحديثة. يا طلاب، يا معلمون، يا أساتذة الجامعات، يا علماء المساجد والمعابد. بل يا كل إنسان عاقل حر يعشق الحق والخير والجمال في أرجاء هذه المعمورة! ألا تريدون أن ترتقوا أعلى سلالم العلم والإيمان في هذا العصر.

ألا تريدون أن تتزودوا بأصول علوم الـدنيا والآخـرة في آن واحـد وفي عمر قصير يلائم وينسجم مـع طـابع العـصر في طلـب العلـم؟ ألا تريدون أن تكونوا علماء عاملين في اقصر طريق واقل جهد؟

... فهـاكم إذن "رسـائل النـور.. رسـائل النـور.. رسـائل النـور" أعجب أعاجيب المعجزة المعنويـة للقـرآن في عـصرنا وأجمـل الأصـداء السماوية. وإن كنتم لا تصدقون أو لا تكادون تتصورون فأسـالوا أهلـه ممن يواصلون السير في هذا الدرب المنير أو جرّبوهـا بأنفـسكم.ولـيس عندي من دونهما حجة أو برهان أتخذه في سبيل إقنـاعكم بهـذه الحقيقـة الناصعة وهي الخاصية الخاصة لخرائط بديع الزمان في رسائله الخالـدة، وإنها لخاصية تستحق أن تكسب القلوب الجادة وحدها في حـب العلـم والعمل معاً وان تفوز بلقب أعجوبة الدهر لمسلمي آخر الزمان: عـصر ظهور الدجال الأكبر داهيـة الـدواهي عـلى البـشرية جمعـاء قبيـل قيـام الساعة.

فاسمعوا وعوا إذن. إني لكم ناصح أمين، ولن تخسروا شيئاً أبـداً إن لم تربحوا كل شيء.

واختم كلمتي لهذه البحث المتواضع القـاصر. مـردداً هـذه المقولـة العطائية الشهيرة، بالاستعارة: "ليت شعري! ماذا وجد من فقدها ومـا الذي فقد من وجدها".

وآخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله عـلى نبيّنـا محمـد وعلى آله وصحبه وسلم الذي جاء حقاً رحمة للعالمين.

المحتوى

الفصل الثالث